العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا أجرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الجزء التاسع – السنة الخامسة – ربيع الأول ١٣٩١ – ايار (مايو) ١٩٧١

مؤرخو نجد

من أهلها — ١ —

[كنت حدَّثتُ طلاب الجـامعة في الرياض في الموسم الثقافي مساء السبت ٣ / ٧ / ١٣٧٩ عن مؤرخي نجد ، وقد رغب بعض القراء إعادة نشر ذلك الحديث ، وها هو بعد إضافة أشياء إليه]

تمهيــد :

يقـولون : إن أسعد الشعوب هو الشعب الذي لا تاريخ له ، ويقصدون الشعب الذي لم تحدث فيه حوادث تستحق عناية المؤرخين، ولكن هذا القول لا ينطبق على سكان نجد ، ونقصد بكلمة – نجـد – مدلولها الاصطلاحي في عهدنا الحاضر ، الذي يشمل أكبر جـزء في جزيرة العرب ، فلقد كان هذا الجزء مسرحاً لكثير من الحوادث منذ أقدم عصور تاريخ العرب ، ولكن عناية المؤرخين به كانت ضعيفة ، ويرجع هذا إلى أسباب كثيرة منها :

١ – أن تاريخ الأمـة العربية – على وجه الإجمال – لم يدون إلا بعد ظهور الإسلام في القرن الثاني الهجري ، وهذه البلاد تكون الجزء الواسع من مهد العرب ، الذي فيه نشأوا ، ومنه انساحوا إلى أنحاء البلاد الأخرى شرقاً وشمالا ، قبل ظهور الاسلام بدهر طويل .

٢ – ومنها أن جل المؤرخين عنوا بتسجيل مـا له صلة بالحكومات من

الحوادث ، تزلفاً إليهـــا ، وتقرباً منها ، وأهملوا ما عدا ذلك ، ومراكز الحكومات العربية — في عهود تدوين تاريخ العرب الحديث ، في العراق ، وفي الشام ، وفي مصر ، ولولا ما للحجاز من منزلة دينية في نفوس المؤرخين ، لمـا امتاز من حيث تدوين تاريخه عن صنوه هذا الجزء الذي نتحدث عنه .

٣ — وقد لا نعدو الحقيقة إذا قلنـــا بأنه لولا الأزرقي وأبو غسان شيخ ابن شبة وابن زبالة ، والطبري ، والفاسي ، والسمهودي ، وأمثال هؤلاء من المكيين والمدنيين لضاع تاريخ الحجاز ، لأن عدم نبوغ علماء في أي قطر من الأقطار البعيدة عن مراكز الحكومات ، ممن يعنون بتدوين تاريخ قطرهم ، في العهود الماضية ، من الأسباب التي تجعل تاريخ ذلك القطر مجهولاً ، كحالة نجد ، فنحن إذا استثنينا علماء ثلاثة أو اثنين من علماء الحديث كيحيى بن أبي كثير وعكرمة بن عمار (في القرن الأول الهجري) واستثنينا محمد بن إدريس بن أبي حفصة — الذي أشرت إليه في حديث سابق — لو استثنينا هؤلاء ، ثم استعرضنا ما بين أيدينا من كتب التاريخ منذ بدء تدوينها إلى القـــرن الحادي عشر الهجري ، لما وجدنا أية إثارة من علم تحملنا على الاعتقاد بقيام علماء في هذه البلاد فضلاً عن وجود مؤلفات تاريخية تعنى بتسجيل حوادثها .

ولقد قامت في نجد ، في ذلك العهد ، دويلات من أقواها :

١ — دولة الأخيضريين الطالبية التي حكمت تلك البلاد من منتصف القرن الثالث الهجري إلى أول القرن الرابع (٢٥٣ — ٣١٧ هـ) .

٢ — دولة القرامطة التي امتد حكمها من الاحساء إلى نجد في سنة ٣١٧ فأزالت الأخيضريين واستمر حكمها إلى منتصف القرن الخامس (٢٨٧ — ٤٧٠ هـ) غير أن هاتين الدولتين باعتبارهما خارجتين على دولة الخـــلافة — الدولة العباسية — ولما أثر عن القرامطة من استهانة بحرمات الأماكن المقدسة ، فإن أخبار هاتين الدولتين لم تصل إلينا كاملة ، مـع أن المتقدمين أشاروا إلى تصدي بعض المؤرخين لتدوين أخبارهما .

رحالة في القرن الخامس يصف نجدا :

ولعل من المفيد في هذا المقام أن نستمع إلى رحالة اخترق نجداً في منتصف

القرن الخامس الهجري وهو يصف ما عليه تلك البلاد من الجهل .

يقول ناصر خسرو علوي بأنه توجه من الطائف إلى نجد في ٢٣ ذي الحجة عام ٤٤٢ فمر بمكان يبعد عن الطائف ٢٥ فرسخاً فلبث خمسة عشر يوماً بين قوم لا حاكم لهم يعيشون على السرقة والقتل، ويمسكون كل من يدخل أرضهم بغير خفير ويجردونه مما معه ، غير أنه سلم بسبب الخفير الذي معه منهم ، ثم بلغ بلدة الافلاج بعد شهر من خروجه من الطائف ، فوجدها منقسمة إلى حزبين بينهما خصومة وعداوة ، ووجد أهلها جياعاً عراة جهلاء، وفقراء جداً ومع فقرهم وبؤسهم فإنهم كل يوم في حرب وعداء وسفك دماء ، وقد سلبوه ما معه من زاد ولباس ، وتركوا أثمن شيء يملكه وهو الكتب ، وهذا أبلغ دليل على سيطرة الجهل على أهل تلك الجهات. وقد أيس من الحياة لما بلغ هذه البلدة لأنه لا يتصور الخروج منها واجتياز مئتي فرسخ إلى البصرة كلها مهالك ومخاوف ، ولكنه استطاع بعد لأي أن يخرج وأن يصل إلى اليمامة بعد مسيرة أربعة أيام ، كلها مشقة وعناء .

مصادر تاريخ نجد القديمة :

وبلاد بهذه الحالة من الجهل والفوضى ، لا مناص للباحث في تاريخها - في هذه الحقبة الطويلة من الزمن - منذ بدء تدوين التاريخ العربي بعد الاسلام إلى نهاية القرن العاشر الهجري — من الرجوع إلى المصادر العامة للتاريخ العربي ، بعد أن يعييه البحث عن مؤلفات خاصة بهذه البلاد وسيجد في هذه المصادر مادة غزيرة عما كانت عليه (نجد) في العهود التي سبقت الاسلام ، عن أيام العرب ، وجلها وقع في نجد بين قبائل من سكانه ، وعن أخبار الشعراء الجاهليين ومواطنهم ، وأغلبهم من هذه البلاد ، وسيجد المؤرخ في دواوين أولئك الشعراء الذين وصلت إلينا دواوينهم أشياء كثيرة مما يهم الباحث معرفتها ، وسيجد المؤرخ أيضاً نتفاً من أخبار نجد، مما له صلة بتعيين الولاة ، أو بصيانة طريق الحج ، أو بخروج بعض القبائل على الولاة ، أو بوفود بعض شعراء هذه البلاد على الخلفاء وما هو من هذا القبيل، غير أن كل ذلك يحتاج إلى الغربلة والتنسيق والترتيب بعد الدراسة العميقة. وكل ذلك أيضاً يمكن ارجاعه

إلى ما قبل القرن الرابع الهجري، وما بعد هذا القرن – وإلى القرن العاشر – لا نجد لهذا الاقليم الطويل العريض – فيما بين أيدينا من المؤلفات – إلا ما جاء عرضاً في الرحلات المعروفة – كرحلة ناصر خسرو ورحلة ابن المجاور ورحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة وكلها معروفة – وما جاء في هذه الرحلات لا يروى غلة الباحث المؤرخ .

وهذا القول لا ينفي وجود بعض الاشارات التاريخية الموجزة ، التي تتعلق ببدء عمارة البلدان ، مستقاة من الوثائق الشرعية وصكوك ملكية العقارات ، بقيت تتناقلها الأيدي حتى وصلت إلى أول القرن الحادي عشر حيث بدأ تدوين التاريخ الذي وصل الينا عن هذه البلاد . لأننا نقرأ أخبار بدء تعمير بلدان عمرت في القرون الثلاثة الأخيرة من هذه الحقبة من الزمن ، فنجد فيما وصل الينا أن بلدة (التويم) عمرت في سنة ٧٠٠ و (حرمة) في سنة ٧٧٠ و « المجمعة » في سنة ٨٢٠ و (العيينة) في سنة ٨٥٠ ، ونجد من أخبار القرن العاشر – فيما وصل الينا لمحات قصيرة عن حياة بعض مشاهير علماء ذلك القرن من أهـــل هذه البلاد ، لما لتاريخ هاؤلاء من ارتباط بوثائق العقارات .

في القرن الحادي عشر :

ليس لدينا الآن – ما يمنع من القول بان بدء تدوين التاريخ في هذه البلاد لم يكن معروفاً قبل أول هذا القرن ، وان كنت أرجو أن يأتي اليوم الذي يغير هذا الرأي ، بالعثور على شيء من المؤلفات التاريخية ، غير أن التاريخ تدوين حقائق واقعة لا دخل للآمال فيه .

١ – أحمد بن بسام :

في القرن العاشر كانت مدينة (أشيقر) الواقعة في اقليم « الوشم » من أبرز مدن نجد وأشهرها من حيث كثرة العلماء الذين تولوا مناصب القضاء في مختلف أقاليم نجد ، ومن هاؤلاء عالم جليل القدر ، من أهل هذه المدينة ولد في آخر هذا القرن ، وتلقى العلم عن علماء بلده حتى بلغ مرتبة منه جعلت

سكان المدن الأخرى من نجد يتسابقون إلى اختياره لتولي الحكم بينهم ، ذلكم العالم هو الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بن بسام بن منيف بن عساكر ابن بسام بن عقبة بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب ، الوهيبي التميمي ، أحد أجداد الأسرة المعروفة في نجد باسم (آل قاضي) من – آل بسام – المعروفين [١] .

مكث هذا العالم في بلدته حتى كانت سنة ١٠١٠ فانتقل إلى بلدة (القصب) قاضياً ، غير أنه لم يمكث فيها عاماً كاملاً فقد طلب أهل مدينة (ملهم) وكانت في ذلك العهد على جانب قوي من العمران وكثرة السكان طلبوا من الشيخ الانتقال اليهم ، ليتولى القضاء في بلدتهم ، فأجابهم الشيخ وبقي قاضياً في هذه المدينة حتى عام ١٠١٥ هـ حيث استقدمه أمير العيينة ، ابن معمّر إلى بلدته التي تعتبر في ذلك العهد أقوى مدينة في نجد ، ليتولى نشر العلم فيها فبقي فيها حتى توفي سنة ١٠٤٠ ، وكان من تلاميذ هذا العالم كثيرون تولوا القضاء في مدن نجد ، كالشيخ عبد الله بن عبد الوهاب المشرفي قاضي العيينة المتوفي سنة ١٠٥٦ والشيخ سليمان بن علي المشرفي – جد الامام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب – المتوفي في العيينة سنة ١٠٧٩ وغيرهما .

قام الشيخ ابن بسام بكتابة نبذة عن نجد تقع في كراس واحد وتتضمن تقييدات لأهم الحوادث التي وقعت في نجد في خلال ربع قرن من سنة ١٠١٥هـ إلى سنة ١٠٣٩ . وقد وصلت هذه النبذة إلى الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى – الذي سأتحدث عنه – فكانت من مصادر تاريخه .

٢ – **أحمد بن محمد المنقور** :

وقرب وفاة الشيخ ابن بسام قام عالم جليل هو الشيخ أحمد بن محمد المنقور من بني منقر التميميين المعروفين بتأليف كتاب في تاريخ نجد ، ولكنه حاول أن يسجل حوادث سبقت عهده وعهد الشيخ ابن بسام ، فابتدأ من سنة ٩٤٥ – سنة وفاة الشيخ يحيى بن عطوة العالم المشهور في نجد – واستمر يدون الحوادث حتى ١١٢٥ – أي أنه سجل حوادث ١٨٠ سنة ، ولكننا حينما نقرأ وصف ابن عيسى لهذا التاريخ ، وانه يقع في كراس ونصف الكراس

نستطيع الجزم بأنه لا يعدو أن يكون مذكرات موجزة لما حدث في نجد في تلك المدة ، وللشيخ المنقور لدى فقهاء نجد شهرة كبيرة ، فهو من بيت علم توارث أفراده القضاء ، فكان منهم هذا العالم ، وابنه الشيخ ابراهيم قاضي الحوطة المتوفي سنة ١١٧٥ وغيرهما . ومن تآليف الشيخ المنقور كتاب في الفقه جمع فيه جملة من فتاوى فقهاء نجد وغيرهم من أهل القرنين الحادي عشر والثاني عشر وسماه « المجموع فيما هو كثير الوقوع » وقد طبع ويقول ابن بشر « عنوان المجد » — ج١ ص ١٨٥، الطبعة الثانية — في ذكر حوادث سنة ١١٢٥ : (وفيها توفي الشيخ الفقيه أحمد بن محمد المنقور ، لست خلون من جمادى الأولى ، أخذ الفقه عن الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان ، وذكر أنه رحل اليه للقراءة خمس مرات .. وأكثر نقـــله في مجموعه عن شيخه المذكور ، وأخذ عنه ابنه ابراهيم وغيره ، وكان فقيها ، وله دراية ، جمع كتاباً في الفقه ، من فتاوى أهل زمانه وغيرهم ، وحصل كتبا كثيرة بخطه). والشيخ ابن ذهلان هذا كان قاضياً في بلدة (مقرن) التي شملها اسم «الرياض» وقد توفي الشيخ المنقور قاضياً في بلدته (حوطة سدير) أما تاريخه فقد اطلع عليه الشيخ ابراهيم ابن عيسى ، واتخذه مصدراً من مصادر تاريخه .

وقد قام الدكتور عبد العزيز الخويطربنشر ما كتبه الشيخ المنقور بعنوان « تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور » بعـــد ان صدره بدراسة عن المؤلف والمؤلف. وطبع الكتاب في الرياض سنة ١٣٩٠ (١٩٧٠)

٣ - ابن يوسف

وهذ ممن عني بتدوين بعض الحوادث ، ويظهر أنه من ذوي المحـــاولات الأولى في هذا المجال ، ومن أهل القرن الثاني عشر ، فقد جاء في « عنوان المجد » النسخة الخطية ، وليس كل الخبر في المطبوعة : (سابقة : وفي سنة سبع ومائة والف ظهر سعد بن زيد الشريف إلى نجد ونزل بلد أشيقر المعروف وحاصر أهلها، وطلب أن يخرج اليه الشيخ حسن بن عبدالله أبا حسين والشيخ محمد بن أحمد القُصَيِّر العلماء المعروفين في أشيقر ، فخرجا اليه وحبسهم وكان ذلك في رمضـــان ، في يوم احدى وعشرين منه .

قال ابن يوسف في تاريخه : فأفتى الشيخ الفقيه أحمد بن محمد القصيّر بالفطر في رمضان ، ويحصدون زروعهم خوفاً عليها من عدوهم) انتهى بنصه على ما فيه من أخطاء ولا أعرف عن ابن يوسف هذا سوى ما جاء في « تحفة المشتاق » لابن بسام حيث قال وهو يسرد اسماء مصادره : (وتاريخ ابن يوسف من أهل أشيقر ، وهو نحو عشر ورقات) وقال : (ثم دخلت سنة ١٠١١ فيها غزا الشريف أبو طالب إلى نجد ، ورجع دون ان يظفر بطائل ، ذكر ذلك ابن يوسف في تاريخه) .

٤ - **عبدالله بن عُضيب :**

الشيخ عبدالله بن احمد بن محمد بن عُضيب ، من النواصر من بني عمرو من تميم ، كان من تلاميذ الشيخ احمد بن محمد القصير الاشيقري المتوفى سنة ١١١٤هـ وهو من أشهر قضاة عنيزة قال الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع (١٣٠٠/١٣٨٥) عنه : ولي قضاء عنيزة بطلب من أهلها وكان قبل ذلك في بلدة المِذْنب ، وهو الذي حفر لهم البئر العذبة التي يستقون منها، وقد توفي في (الضّبَط) - من محلات مدينة عنيزة - وقبره معروف حتى اليوم في مقبرة الضبط ، وله ترجمة في « السحب الوابلة » ومذكور في « مجموع المنقور » وتولى قضاء عنيزة بعده تلميذه سليمان بن عبد الله بن زامل سنة ١١٦١ هـ . وذكر ابن عيسى أن الشيخ ابن عضيب توفي سنة ١١٦٠ أو ١١٦١ (٣) ، ورأيت في أوراق تتضمن تسجيل تواريخ بعض الحوادث في عنيزة انه توفي سنة ١١٦٤ - كما رأيت نسخة من كتاب « كشاف القناع » وكانت من كتب ابن حُميد صاحب « السحب الوابلة » بخط الشيخ ابن عضيب ، وكان جميلاً ، مما يدلُّ على مزاولته للنسخ .

أما لماذا أضفت اسمه إلى مؤرخي نجد فلأنني اطلعت على أوراق لدى الشيخ محمد الصالح المضيّان - المتوفى بمكة قبل عشر سنوات - جاء في أولها بعد البسملة : (تاريخ ابن عضيب رحمه الله : موتة الشيخ محمد بن اسماعيل سنة ١٠٥٩) وآخرها : (١١٥٣ قتلة الهميلي بن سابق ، وغرسة الجادّة) وجلُّ الحوادث تتعلق بعنيزة وما حولها وهي على قلتها وركاكة أسلوبها الذي

يشابه إلى حدّ كبير أسلوب المنقور تدل على أن الشيخ ابن عضيب يعتبر من ذوي المحاولات الأولى في تدوين تاريخ حوادث نجد .

وفي منتصف القرن الثاني عشر قام الامام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله (١١١٦ / ١٢٠٦) بدعوته الإصلاحية، فكان من ثمار هذه الدعوة المباركة استقرار الأحوال في نجد ، وتوحيد أقاليمها تحت راية واحدة ، وزوال ما بين سكانها من احن واختلاف وشقاق ، على يد أنصار هذه الدعوة من ملوك (آل سعود) الأماجد ، وكان من أثر ذلك انتشار العلم ، وقيام بعض العلماء بتدوين تاريخ هذه الحركة الاصلاحية . ومن أشهر هؤلاء :

٥ – حسين بن غنام

كانت الاحساء منذ القرن العاشر مركزاً من مراكز العلم في الجزيرة ، يفد اليها الطلاب من نجد ومن سواحل الخليج العربي ليأخذوا عن علمائها ، وفي عهد الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد (١٢١٨ / ١٢٢٩) بلغت الدولة السعودية – في دورها الأول – أوجها من القوة ، وأصبحت عاصمة المملكة (الدرعية) مقصد طلاب العلم ، ورواد الفضل ، من مختلف البلاد ، فرأى الإمام سعود (رحمه الله) أن هذه المدينة وإن كانت مركز الاشعاع لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وفيها أبناؤه العلماء ، إلا أنها بحاجة إلى علماء يقومون بتدريس علوم اللغة العربية ، فدعا عالم المبرّز وأديبها الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام المالكي المذهب ، ليتولى ذلك ، فمكث في هذه المدينة بضع سنوات ، لا يقتصر على التدريس ، بل أخذ يدون تاريخ هذه الدعوة الإصلاحية ، مبتدئاً بوصف حالة البلاد الإسلامية ، من الناحية الدينية ، ابان قيام الشيخ محمد بدعوته الإصلاحية ، ثم بترجمة الشيخ وذكر طائفة من رسائله ومؤلفاته ، وخصص لذلك كتاباً سماه « روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام » ، ثم أتبعه بكتاب آخر ، جعله سجلاً للغزوات التي قام بها آل سعود في سبيل مناصرة هذه الدعوة ونشرها ، وسماه « كتاب

الغزوات البيانية ، والفتوحات الربانية » ابتدأها من سنة انتقال الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من العيينة إلى الدرعيـة في سنة ١١٥٨ - وانتهى في النسخة التي وصلت الينا من هذا التاريخ إلى سنة ١٢١٣ - أي قبل انتقال الحكم إلى الإمام سعود بخمس سنوات ، وقد عاش ابن غنـام إلى سنة ١٢٢٥ في ذي الحجة ، ومن المستبعد أن يترك الشيخ ابن غنام اثنتي عشرة سنة (من ١٢١٣/ ١٢٢٥) دون أن يسجل حوادثها، والنسخة التي وصلت الينا - سواءالأصول الخطية ، وكلها من مخطوطات القرن الثالث عشر ، أو المطبوعة - مبتورة بتراً واضحاً ، آخرها :

لقد عدمتني الكمت يوم مجالهـا ولا وسطت بي الجمع يوم التناضل
ولا أردت الأسْلُ الظـماء (آخر ما وجد من التاريخ) ...

وقد جرى ابن غنام في كتابة تاريخه هذا على طريقة حـاول بها أن يظهر براعته اللغوية ، فكتبه مسجوعاً مملا ، وقصره على أنباء الحركة التي خصصه لتاريخها ، فكان أوفى سجل لها في خلال نصف قرن (من سنـة ١١٥٨ الى سنة ١٢١٣) وهو أوثق مصدر عن حوادثها .

وفضلا عما يتصف به ابن غنام من تمكنه من اللغة العربية هـذا التمكن الذي حاول إبرازه بتاريخه الذي ضمنه كثيراً من شعره ، فـإن له مؤلفات أخرى منها « العقد الثمين ، في أصول الدين » وكان من تلاميذه كبـار علماء الدرعية في عهده كالشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، والشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد وغيرهما .

وقد عثر على تكملة لتاريخ الشيخ حسين بن غنام وصلت إلى الخزانـة السعودية في الرياض وقت نشر تاريخ ابن بشر لأول مرة ، أي سنة ١٣٤٩ ، ويظهر أن احتواء تاريخ ابن بشر على جل مـا في التكملة وان أسلوبها مما لا يتلاءم مع أذواق كثير من القراء في هذا العهد للسجع الممل وان تاريخ ابن غنام سبق نشره وليس هناك كبير فائدة في هذه التكملة لكي يعاد طبع

التاريخ كاملا ، هذه الأسباب حالت دون نشر تلك التكملة ، وقد وصلت إلى مكتبة الأستاذ رشدي ملحس وهو الذي حدثني عنها .

٦ – **محمد البسام :**

وهذا مؤرخ من نمط آخر ، هو محمد البسام التميمي الذي ألف كتاباً عن قبائل العرب في الجزيرة وما حولها قال في مقدمته : (هزّ معاطفي بعض الأصدقاء من أولي الأدب .. لضم شمل المتأخرين من قبائل العرب .. وسأذكر ما وجد اسمه .. وأوجز تشخيصهم وتعيينهم .. مع أني في تلك الأيام مشغول البديهة .. موكل بجزء من أجزاء الحكم) . وقد كتبه بأسلوب مسجوع مملّ وملأه بالمبالغات في الثناء ، مع أنــه قال : (اعتزمت على تكميل هذه الكراريس بالابداع بالأراجيز والتجنيس ، فاعترض عليّ صاحبها الأجل ، وقال : (اقنع من الخمرة بالخلّ ، ودع الميل إلى الاسجاع) وذكر أنه جعله (مسودّة فحال دون النظر فيه الاهتمام من صاحبه ، المقترح إيجاد فرائده وعجائبه) . أما هذا المقترح فهو المستر (ج. س. ريش J. c. rich) المتوفي في شيراز سنة ١٨٢١ م وكان ممثلاً لشركة الهند الشرقية الانجليزية في بغداد بين سنتي ١٨٠٨ و ١٨١٢ م وهذا فإن تأليف الكتاب منسوب إليه كما جاء في طرته : (كتاب الدرر المفاخر ، في أخبار العرب الأواخر ، تأليف السيد السعيد ، فخر أقرانه ، وعمدة زمانه ، شهاب الملة العيساوية ، وقدوة الدولة الانقريزية ، مصطر ريك زرى دندبيك بهادر بغداد وبصرة الأرشدا!) وقد يكون هذا الكلام ليس كله للمؤلف ، وقد كتب ريش في طرة الكتاب (٢) باللغة الانجليزية انه من تأليف الشيخ محمد البسام من بني تميم سنة ١٨١٨ م — وها هو نص ما كتب :

An account of the Arabian Tribes as they exist at present drawn up for me from the best information by Sheikh Mohammed Al-Bessam, of the Beni Temim

Bagdad 1818 -
CJR

إن موضوع الكتاب – كما ذكرنا – يتعلق بالقبائل ، وليس فيه كبير فائدة فهو يورد اسم القبيلة ويضفي عليها من المدح ما يقتضيه تلاؤم السجع باسمها ، ويذ در في تعداد الرجالة (ويسميهم السقمان) وفرسانها ما هو أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة ، ولا يحاول ارجاعها إلى أصل قديم ، وإن حاول أتى بما هو خطأ كما فعل عند ذكر قبيلة العجمان حيث ذكر أنهم بقايا الجيش الذي أمدّ به كسرى سيف ابن ذي يزن لاسترجاع حكم اليمن ، ومثل هذه الخرافة وإن كان لها أصل عند بعض من ألف في الأنساب قبله إلا أنها لا يخفى بطلانه وفي الكتاب لمحات تاريخية على إيجازها تفيد المؤرخ ، كقصة غالية الفتاة البقمية [٣] ، وعيث جيش ابراهيم باشا في قطع نخيل نجد [٤] ، وغدر الغزاة بشيخ مشائخ حرب مسعود بن مضيّان ، وقتله بعد [٥] تأمينه .

ويظهر أن في الكتاب نقصاً ، أو أن مؤلفه نسي أشياء أراد ذكرها فقد جاء في الورقة الـ ٤٩ (وأما العارض فالدرعية وهي مدينة ملك العرب على الاطلاق) وفي الهامش : (وسيأتي صفة الدرعية وأهلها وصورتها وعساكرها وأسماءهم) . ولكن لم يرد في الكتاب شيء من ذلك [٦] .

ويفهم من تلك العبارة أن الكتاب ألف سنة ١٨١٨ م (١٢٣٣ هـ) وهي سنة استيلاء ابراهيم باشا على الدرعية ، ويدل على ذلك عبارات وردت في مواضع من الكتاب فقد ذكر غزوة طوسون وهزيمته مفصلة وتلك وقعت سنة ١٢٣٠ ، ومدح السلطان محمود خان عبد الحميد الذي تولى السلطنة بين سنتي (١٢٢٣/١٢٥٥هـ)(١٨٠٨/١٨٣٩) وذكر حمود أبو مسمار الذي توفي سنة ١٢٣٣ وشملان شيخ خثعم ، الذي قتل سنة ١٢٣٠ ، وحاكم جبل شمر محمد آل علي وأنه امتنع من المجيء إلى ابراهيم باشا ، وأمير شقراء ، ابراهيم بن سدحان ، وهذا توفي سنة ١٢٣٠ وذكر أن دولة آل سعود – وهو يقصد الأولى – زالت على يد عبد الله بن سعود ، وقال : عن نفسه – في سياق خبر وقعة الخيف سنة ١٢٢٦ هـ : (فلقيه الوهابي بأربعين ألف مقاتل قال المؤلف : وأنا منهم) وقال – بعد ذكر استيلاء الغزاة على المدينــة سنة ١٢٢٧ هـ (وحال هذا التاريخ أخذوا في سفرهم عشر سنين) يقصد جيوش محمد علي باشا .

ولا نعرف شيئاً عن المؤلف إلا ما جاء في هامش الورقة الـ ٣٤ : (شقراء ذات رمل ، وليست كثادق ولا شطره ، وأهلها أشد نجد تعصباً في دينهم ، وحاكمهم اسمه ابراهيم بن سدحان ، ثادق بلد خصّت بالرمل الذي لم يشاهد في بلد غيرها ، وهو أتلف شطرها ، والباقي على شفا جرف ، ثرمدا ذات رمال ، ولم يكن بنجد مدائن فيها رمل سوى هذه الثلاث ، وأعظمهن ثادق، فإن الدعوص به علوّ المنارة مرتين ، ثلاث ، وهي بلد المؤلف بعد الدرعية). إن القول بأن ثادقاً هي بلدة المؤلف بعد انتقاله من الدرعية تبعث الشك في صحة نسبة هذا الكتاب إلى أحد من الأسرة البسّامية التي كان مهدها الأول أشيقر ، ثم استوطنت عنيزة ، ولا ينفي هذا انتقال بعض أفرادها إلى بعض قرى نجد كملهم والقرينة وغيرها . ولا أستبعد أن يكون محمد البسام الذي نسب اليه (ريش) تأليف هذا الكتاب قد كلف أحداً بهذا الأمر عند ما طلبت منه (ريش) ذلك .

٧ — ابن خنـين :

٨ — ابن سـلوم :

وقد عاصر قيام هذه الدعوة الإصلاحة من علماء نجد ، عالمان آخران هما راشد بن خنين التميمي النسب ، المالكي المذهب ، من أهل الخرج ، ومحمد بن علي بن سلوم الوهيبي ، التميمي ، من أهل العطار ، من سدير .

وقد وردت عبارات في المؤلفات التي وصلت إلينا ، تدل على أنهما عنيا بالتاريخ فقد ذكر ابن بشر في تاريخه أنه وجد لمحمد بن علي بن سلوم الفرضي الحنبلي إشارات لطيفة، في تتابع السنين ، ورسم وقائع كل سنة ، بما لا يفيد، ولا حقق تحقيقاً للوقائع ومواضعها ، ينتفع به المستفيد ، بلغ في ترسياته إلى قرب موت عبد العزيز بن محمد بن سعود (١٢١٨) .

وابن سلوم هذا انتقل من نجد إلى الاحساء ، ثم انتقل منه إلى (سوق الشيوخ) في العراق وتوفي هناك في شهر رمضان سنة ١٢٤٦ ، وله مؤلفات في علم الفرائض وغيره منها « شرح البرهانية » .

وأمـــا ابن خُنين فقد أشار ابن عيسى في تاريخه إلى تاريخ له قائلاً : « ذكر راشد بن خنين في تاريخه أن المردة من بني حنيفة » غير أن ابن بشر – وهو قبل ابن عيسى ساق هذا بهذه الصيغة – (وقد رأيت نقلاً من كلام محمد بن سلوم أن قبيلة المردة من قبائل بكر بن وائل ، وذكر انه نقله من كلام راشد بن خنين قاضي الخرج) .

ومما تجب معرفته عن هذين الرجلين أنهما ممن شرق بالدعوة الاصلاحية التي قام بها الإمام المجدد المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، فقد ناوءاها مناوأة صريحة ، فأنشأ أولهما قصيدة (قافية) في معارضتها، وهرب الثاني من نجد عند انتشارها .

٩ – **الفاخري :**

وفي زمن يقرب من عهد ابن غنام في عام ١١٨٦ – ولد في بلدة التويم – من اقليم سدير الشيخ محمد بن عمر بن حسن بن محمد بن فاخر – المعروف بالفاخري – المشرّفي الوهيبي التميمي ، ونشأ في بلدتـــه وتعلم فيها مبادىء القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن ، وقـد توفي أبوه عام ١٢٢٢ فانتقل بأهله إلى الاحساء في عام ١٢٢٨ ولكنه عاد بهم في سنة ١٢٣٥ إلى بلدة التويم ، ثم انتقل منها إلى بلدة (حرمة) فاستوطنها حتى توفي في ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٢٧٧ .

وقد تصدى الفاخري هذا لتقييد بعض الوقائع التاريخية من سنة ٨٥٠ حتى سنة وفاته غير متصل الحلقات، وقد يكون سجل شيئاً منها قبل ذلك غير أن التاريخ المنسوب إليه وجد ناقص الأول، وقد قام ابنه عمر بن محمد بإكمال تاريخ أبيه حتى سنة ١٢٨٨ ، بعد ذكر وقعة (البرة) في عهد عبد الله بن فيصل – رحمه الله – .

والفاخري في تدوين الوقائع يلتزم الإيجاز المخل ، ولا يتقيد بقواعد اللغة، غير أنه يحرص على أن يدون كل صغيرة وكبيرة تتعلق ببلده . ولا يزال كتابه مخطوطاً ، ويقع في أقل من مائة صفحة .

١٠ - ابن لعبون :

ومن بلدة (التويم) هذه قام عالم آخر بتأليف كتاب له صلة بموضوعنا يدعى « تاريخ ابن لعبون » . وابن لعبون هذا هو حمد بن محمد بن ناصر بن عثمان بن حمد بن ابراهيم بن حسين بن مدلج، الوائلي من آل مدلج أهل (التويم) و (حرمة) . وكل ما نعرفه عنه أنه نشأ في بلدته ، وتولى إمامة جامعها في فترات متقطعة .

وقد طلب منه الثري النجدي المعروف ضاحي بن محمد بن عون المدلجي (١١٨٦ - ١٢٦٠) أن يكتب له نسب قبيلته المسمين بآل مدلج ، (طلبا منه لحفظ الانساب ، وللمواصلة التي توجب الثواب) فقام بذلك معتمداً على ما تلقاه من أشياخ قبيلته ، وما وجده في وثائق العلماء ، وفي كتابه هذا فوائد تتعلق بأنساب بعض الأسر الشهيرة ، وإشارات موجزة إلى بعض حوادث قديمة لها صلة بتاريخ نجد ، ولكن مما يؤسف أن القسم المتعلق بنسب القبيلة التي ألف الكتاب من أجل ذكر نسبها لا يوجد في النسخة المطبوعة ، مع أنه موجود في بعض النسخ الخطية .

وقد عاش ابن لعبون هذا إلى سنة ١٢٥٥ وقد ذكر الأستاذ الشيخ خالد الفرج - رحمه الله - أنه تولى بيت المال في سدير للامامين سعود الكبير وابنه عبد الله ، وأنه والد الشاعر محمد بن حمد بن لعبون الذي قال عنه أنه ولد في (حرمة). وكنت اعتماداً على نسخة مخطوطة من تاريخ ابن لعبون نفيت أن يكون الشاعر محمد بن حمد ابناً له لأن نص النسخة التي اطلعت عليها جاء فيها ما هذا نصه : (وولد حمد ثلاثة بنين زامل وناصر وعبدالله) غير أن فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ذكر بأنه اطّلع على نسخة مخطوطة من تاريخ ابن لعبون وفيها ما يدل على ان الشاعر ابنٌ له ، وقد تحققت ذلك حينما اطّلعت على نسخة أخرى من ذلك التاريخ جاء فيها ما

نصه : (ولمحمد بن ناصر ولد هو حمد بن محمد كاتب هذه الشجرة ولحمد بن محمد كانت هذه الشجرة ثلاثة أولاد: محمد الشاعر المشهور المولود في بلد ثادق سنة ١٢٠٥ وقت جلوتنا، وذلك أن عبدالعزيز بن محمد بن سعود لما ملك حرمة أمر بهدم بعض بيوتها، وقطع بعض نخيلها، وجلا بعض أهلها وذلك سنة ١١٩٣ وكان ممن جلا حمد بن محمد كاتب هذه الشجرة وعمه فراج وأولاده ، وسكنوا في القصب، ثم ارتحلوا منها إلى ثادق ، وولد الابن محمد بها كما ذكرنا ، وحفظ القرآن ، وتعلم الخط ، وكان خطه فائقاً ، وتكلم الشعر في صغره ، ومدح عمر بن سعود بن عبد العزيز بقصائد كثيرة ، ثم سافر قاصداً بلد الزبير وهو ابن سبعة عشر سنة ، وصار نابغة وقته في الشعر ، وله أشعار مشهورة عند العامة ، نرجو الله يسامحه ، ولم يزل هناك إلى أن توفي في بلد الكويت سنة ١٢٤٧ من الطاعون العظيم ... فيكون عمره ٤٢ سنة ، وليس له عقب رحمه الله، واخوته زامل وعبد الله ، ساكنان مع أبيهما في بلد التويم) انتهى .

أما سبب اختلاف النسخ فهذا راجع إلى العبث والتصرف في كثير منها ، وقد حدثني الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري رحمه الله أن في مكتبته نسخة من تاريخ ابن لعبون بخطه .

(للحديث صلة)

الحواشي :

(١) علق فضيلة الاستاذ الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام في جريدة البلاد تاريخ ١٠/٧/١٣٨٠ ، بما هذا نصه : ذكر الاستاذ المؤرخ الشيخ احمد بن بسام وذكر سلسلة نسبه المتداول بين الناس حتى قال : احد اجداد الاسرة المعروفة في نجد باسم – آل قاضي – من آل بسام المعروفين، والصواب ان الشيخ احمد بن بسام المذكور ليس جدا لآل قاضي، بل هو جد لاسرتنا (آل بسام) الموجودين في مدينة عنيزة والمنتشرين منها في داخل المملكة وخارجها لا يشارك هذه الاسرة بالانتساب الى هذا الشيخ احد ، فان جدنا الذي قدم الى عنيزة من بلدة حرمة هو حمد بن ابراهيم ابن عبدالله بن الشيخ احمد المذكور فليس بين جدنا القادم الى عنيزة وبين الشيخ احمد الا اثنان وهما ابوه ابراهيم وجده عبدالله ولا نعلم لأبراهيم غير حمد جدنا القادم لعنيزة ولا لعبدالله غير ابراهيم كما انه ليس للشيخ احمد غير ابنه عبدالله وليس بين الموجودين منا الآن وبين الشيخ احمد المذكور

الا سبعة آباء نحيط بمعرفتهم احاطة جيدة فليس لنا مشارك في هذه السلسلة المتصلة منه الينا .

وأقول : ان القضاة مما لا تجهل فضيلة الشيخ صلة نسبهم بآ ل بسام فجدهم الشيخ محمد بن أحمد ابن محمد بن منيف بن بسام بن منيف القاضي على ما ذكر الشيخ ابراهيم بن عيسى وصلة نسبهم بهذا القاضي ان احدهم وهو الشاعر المشهور محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الذي هو الشيخ وملاحظة فضيلة الاستاذ في محلها وهو ان الشيخ الذي ينسب اليه آ ل بسام هو غير المؤرخ احمد بن محمد بن عبدالله، انه محمد بن احمد بن محمد بن منيف بن بسام والخلف سهل .

(٢) والنسخة هذه في المتحف البريطاني،ورقمها ٧٣٥٨ ، وتقع في ٥٩ ورقة – ١١٨صفحة في الصفحة ١٢ سطراً تقارب كلمات السطر العشر والخط نسخي واضح مملوء بالاغلاط النحوية واللغوية والاملائية وفي بعض الهوامش حواش بالخط الفارسي وها هي محتويات هذه النسخة .

(٣) قال – بالنّصّ – (ومنهم البقوم ولكن الحاكمة عليهم امرأة اسمها غالية ، ذات رأي وتدبير ، وحزم وشجاعة ، لم يدركها أشد الرجال وهذه المرأة المذكورة في القلعة المسماة تُربة وأما بلدها فبلاد واسعة ارزاقها تأتيها من الطايف ومن مكة المشرفة ولما توجه اليها الملك المنصور السعيد السديد محمد علي باشا أبت الطاعة والدخول تحت أمره ، فبعثت الى الوهابي ، تستنجده وتستعينه على مصادمة الوزير وتعرفه بهمته وعزمه وانه لا بد منازلهـا ، فبعث الوهابي اليها اخوه فيصل في اربعين الف وامره بحث عسكره من أهل الجنوب الماضي ذكرهم ، فلما قدم فيصل اليها بعدده ، فاذا هي في اتم التأهب ، ودخل فيصل البلد ومكث بها ثلاثـة أيام ، فإذا الوزير قادِمُه بالف مقاتل وقرب بعضهم من بعض فقال فيصل : ما ترون في امرنا وتدبير حالنا هل نقدم عليه قبل قدومه علينا أم نصبرحتى يقدم هو ونعمل له المتاريس والخنادق ؟ فقالوا له رؤساء قومه : إن هذا الوزير نفسه طويل ويومه كسنته فلو مكثت اسبوعاً لم تشعر إلا وصوله

مثل عسكرك أضعافاً ، ولكن بادره ما لم يزل قليل العدد والمدد ، وأنت عسكرك في أربعين الف فأستحسن رأيهم فزمّم الوزير حتى صار عنه رمية البندق والخيل بينهم تتجاول فأركب الوزير أطوابه عليه عن قرب حتى أضرت بالوهابي مضرة ما يمكنه الصبر فيها فأشاروا عليه رؤساء عسكره أن يرحل من هذا الموضع العالي الى أنزل منه ويستكفي مضرة الاطــواب فاستحسن رأيهم عن الضرورة فأمر خدامه فأنزلوا خيامه فلما بصُر العسكر بنزولها صاحوا صيحة كبرى وقالوا: وهابي انهزم ! وأقبلوا بعزم وطمع حتى خالطوه وأما عسكر الوهابي لما نظروا نزول الخيام وغــارة العسكر أيقنوا ان فيصل قتل فكل ضرب واجهه من عسكره ولم يبق من عسكره المذكور الا عدد قليل فتوجه الى تربة قاصداً المرأة فلما علمت بذلك ونصرة الروم عليه غلقت الأبواب دونه وأخذت ترميه بالبنادق والحراب ففر الى اخوه منهزماً وأما هي فاختلفت الأقوال عنها فقيل : أنها أخذت مواثيقاً وعهوداً من الوزير على نفسها وملكها وما تملك من آ لة الحرب من خيل وركاب واسلحة وانه اعطاها على ذلك وبقيت ، والقول الآخر أنها لما انهزم فيصل وأيقنت بالقهر اخذت ما عزّ وتوجهت الى بلد الوهابي المسماة بالدرعية والصحيح انها توجهت اليه وملك الوزير أرضها وديارها وأموالها وأما عدد عساكرها فسبعة عشر الف ولم يتبعها منهم أحد والله أعلم .

(٤) قال فى الكلام على نجد : ـ الورقة الـ ٣٥ ـ : (وأما المدائن وأشجارها فأوجدها أشجار النخيل التي لم يحاكيها مشرقاً أو مغرباً ، ولما قدمهـــا العزيز وخالفوا أمره ، وانكروا طاعته أمر عساكره بقطع النخيل لعلمه أنهم لا يطيقون الصبر دونها ، فالذي قطـــع من الرّس خمسون الف نخلة ، وعلى النخلة الواحدة ريالين ، أبو طوب ، حتى لم يبق من عسكره من لم يجتهد في قطع النخيل لزيادة الطمع ، وقلة التعب ، قال المؤلف : حدثني بعض الحاضرين وقائمهم ان الرجل يقطع في الساعة الواحدة إلى ثمان نخلات ، وسبب ذلك أنهم متأهبين لها بآ لاتٍ من الحديد يطعنها به ، فيدخل في جذعها شبراً فيرتكي عليه بصدره ، ويستدير به عليها ويأخذه منها، فإذا حركها النسيم قليلا نزلت ، وعنيزة قطع منها ، والدرعية قطع منها جملة ثمانين الف نخـــلة واشجار الفواكه وغيرها من كل ما هو موجود على وجهها) انتهى على ما فيه من أخطأ .

(٥) قال : (فبقي مسعود بن مضيان في قصره محتصر حائر الأفكار فدعوه بلا أمان، وطلب الامان فامتنع الوزير وقام (ابراهيم نابرته) خال الوزير طوسون - وكتب له على لسان الوزير: إنك آمن . فأقبل ، وأكرمه الوزير اكراماً مفرطا، فلما انتهى الى ثلاثة أيام كل يوم أعظم إكراماً مما قبله ، فلما جاء نهار رابع أوثقوا قيوده ، وناقشوه في أفعاله ، فما أجاب بحسنى ولا سيئة . لمعرفته بالهلاك) .

(٦) وهذا نموذج من كلامه : (ومنهم بنو واهب . ذو الجرد السلاهب والبيض القواضب ، كبيرهم الفسُويه ، المنسوب الثناء اليه ، راجلهم عشرين الف راجـــل ، وفوارسهم ثلاثة آ لاف مقاتل ، أرهبوا أعداهم ، وبذلوا نداهم ، فسادوا الرجال ، ووصلوا الآمال ، وألفوا بين المتفرق وبذلوا فضلهم مغربا ومشرق) .

دِرَاسَةٌ فِي قَبِيلَةِ الأَزْد

تتجلى في الأنساب العربية ظواهر معينة ، يعتمد عليها معتمدون في رفض الأنساب عامة ، ويعتمد عليها آخرون في الطعن عليها ؛ ولكنها إن شابتْها، وأدخلت عليها شيئاً من الاضطراب ، لا يصح أن نتخذ منها تكأة لهدم بناء [علم] الأنساب كله ، فالمدقق من الباحثين لا يجد فيه من الخلاف والاضطراب أكثر مما يجده في غيره من معارف اعتمدت في بقائها وتوارثها على الذاكرة ثم الكتابة اليدوية .

فقد كان بعض النسابين والمؤرخين يصرون على إيراد الأنساب كلها أوردوها كاملة ، وبعضهم يوردها كاملة في موضع الحديث عنهـــا ويختصر منها أسماء عندما يوردها عرضاً اعتماداً على الشهرة ، وشيوع معرفتها في عصره . فأوقعت تلك الأنساب المختصرة بعض المطلعين عليها في الخطأ والاضطراب ، إذ خلط بين الإخوة والأبناء .

ومنح العرب بعض أعلامهم ألقاباً حازت من الشهرة في بعض الأحيان ما جعل أسماءهم الحق تتوارى في الظلام ، وتغيب وراءه تماماً ، فيجهلها الناس أو يختلفون فيها ، فتتكاثر أقوالهم عنها وتتعارض .

وقد نرى شيئاً من ذلك في نسب الخليل ، وإن كنت أعتقد أنه أقل مما نراه في نسب غيره من الأعلام .

فنَسَّابُو العرب يجمعون على رد اليمنيين جميعاً إلى فرعين كبيرين ينتسبان إلى سبأ بن يَشْجب بن يعرب بن قحطان ، هما حِمْيَرُ وكهلان ، ويكادون يهملون أبناء المذكورين الآخرين، والذين يبدو أنهم لم يكونوا من الأهمية بحيث يفرضون على العلماء العناية بهم .

وكان من سلالة كهلان رجل اختلف الناس في اسمه ، فقال ابن حزم في

« جمهرة أنساب العرب [١] » : أوَد ، وقال النويري في « نهاية الأرب[٢] » : دِراء ، وقيل : دَرْء . وإن كان وقع اختلاف في الاسم فقد وقع اتفاق في اللقب ، إذ أجمعوا على أنه الأزْد . وقال أبو عبيدة : ويقال فيهم : الأسْد . وعلق الجوهري على ذلك قائلاً [٣] : وهو بالزاي أفصح . وأعتقد أن الرجلين يشيران إلى طريقتين كانتا شائعتين عند جماعات من أهل اليمن في النطق بالزاي.

ومرت أعوام ، وتناسل الأزد فأكثر ، حتى صار بنــوه — في قول القلقشندي[٤] : « من أعظم الأحياء ، وأكثرها بطونا ، وأمدّها فروعا » . وتصدّق تلك الأقوال الأحداثُ الكبيرة في الجاهلية والإسلام ، وتؤيدها المراجع التاريخية والجغرافية والأدبية .

وكان الموطن الأصلي لبني الأزد مَأرِب [٥] ، ومن أهم مدن الشمال الشرقي لليمن ، وما حولها .

ويبدو أن جماعة من الأزديين أقامت في العراق منذ زمن بعيد . إذ تذكر أخبار التبابعة [٦] من ملوك اليمن أن تبعا أبا كرب خرج على رأس جيش كبير ليغزو ما طمع فيه من بلدان المشرق ، وكان في ذلك الجند فرق من الأزديين ، وعندما وصل الجيش إلى الحيرة ، خلّف الملك فيها مالك بن فهم مع جماعة من بني دَوْس الأزديين ، فكان مقامهم فيها ، أي ما بين الحيرة والأنبار وَهِيْت ونواحيها وعــين التمر وأطراف البراري : الغُمير ، والقطقطانة ، وخفيّة . ولكن الظلام والشك اللذين يحوطان التبابعة وتاريخهم ينسدلان على أخبار هذه الجماعة الأزدية ، وتاريخ هجرتها الحق إلى العراق[٧].

---

(١) ٣٣

(٢) ٢ : ٣١١ – ٢ . وقبله ابن الكلبي في « الجمهرة » انظر « المختصر » ـ ٨١ وفيــه : (دِرْءٌ) . والحازمي في « العجالة » ـ ١٠ . وابن حزم ينقل عن « الجمهرة » مما يحمل على القول بأن ما في كتابه تحريف .

(٣) القلقشندي : نهاية الأرب ٩١ . (٤) نفس المرجع .

(٥) ابن الأثير : الكامل ١ : ٤٩١ (الطبعة الأوربية) .

(٦) أبو عبيد البكري : معجم ما استعجم ٤٧٩ .

(٧) ولكن ابن حزم :«جمهرة أنساب العرب» ٣٥٨ ذكر أن مالك بن فهم كان يقيم بعمان .

وتمر أعوام ، فتضيق منطقة مأرب ببني الأزد ، بعد أن كثروا ، وساءت أحوال اليمن الاقتصادية لإهمال الزراعة ومشروعات الريّ ، فيضطر أكثرهم إلى النزوح عن موطنه والتشرد في الأنحاء المختلفة من شبه الجزيرة العربية ، هم وغيرهم من اليمنيين . وكانت هذه الهجرة من الضخامة ، وذات أثر بعيد في بلاد العرب كلها ، بحيث علقت ذكراها في عقول العرب جميعاً : جنوبيهم وشماليهم ، ولم تـُمْحَ أبداً . وارتبطت في أذهانهم بما عاصرها أو كان سبباً لها من تهدم سيل العَرِم . واتخذ الخيال العربيُّ من تلك الأحداث أساساً بنى عليه صرحاً من القصص الشعبي .

ويستنبط من الأخبار أن الأزديين انتشروا من مواطنهم ، واتسعوا فيما ينزلون من بقاع اليمن حتى جاوروا بني عَكٍّ . ولكنهم ما نزلوا بمكان إلا ضاق بهم ، إذ كانوا في وصف الهمداني لهم (١) : لا يمرون بماء إلا أنزفوه ، ولا بكلأ إلا سحقوه ، لما فيهم من العَدد والعُدد والخيل والإبل والشاء والبقر وغيرها من أجناس السَّوام » .

وكان لا بد أن تنشب المعارك بينهم وبين السكان الأصليين للأماكن التي حلوا بها . فوقع القتال بينهم وبين غافق ، فتغلبوا عليها . ولكنهم عندما استقروا وتحقق أهل البلاد من عظم الأذى الذي حل بهم ، اجتمعت كلمة عكٍّ كلها على مقاتلتهم . فدارت الحرب بينهم سجالا ، وطال أمدها ، فرأى الأزد أن يتحولوا عن مواطن عك (٢).

ويبدو أنهم اقتنعوا أنهم لن يستطيعوا أن ينزلوا مجتمعين في مكان ما . فانقسموا إلى مجموعتين ، سلكت كل منها طريقاً مستقلاً في هجرتها . وربما هاجرت مجموعة منها قبل أختها ، عندما رأت القتال في اليمن لا يخمد ، ثم

---

(١) صفة جزيرة العرب ٢٠٧ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ١ ص ١٣ البلاذري : فتوح البلدان ١٦ . البلاذري : صفة جزيرة العرب ٢٠٩ . وتختلف أقوالهم في المنتصر والمهزوم من الأزد وعك ، ويبدو أن كل واحد منهم يتحدث عن مرحلة مختلفة من الحرب بينهم .

أعقبتها المجموعة الأخرى بالهجرة ولكن في غير الطريق الذي سلكته المجموعة الأولى .

وكان أحد الطريقين غربياً ، انتهى بالمهاجرين إلى الشام ، والآخر شرقياً انتهى إلى الحيرة والأنبار ، ولكن المهاجرين لم يقطعوا الطريقين في سرعة ، ولا وصلوا إلى غايتهم دون خسائر. فقد أقاموا فيما راقهم من منازل وجدوها في طريقهم . فلم تلبث الخصومة أن نشبت بينهم وبين السكان القدامى ، واندلعت نيران الحرب. فاضطر المهاجرون الجدد إلى التحول إلى منزل جديد تاركين وراءهم جماعات منهم و أتاحت لها بعض العوامل البقاء .

وهكذا نجد في الطريق الغربي بني الحارث بن كعب ينزلون نجران [١] . وبني غامد وبارق ودوس وغيرهم من بني نصر بن الأزد يتخلفون في السراة[٢] وخزاعة في بطن مَرّ على مقربة من مكة [٣] ، والأوس والخزرج في يثرب (المدينة المنورة) [٤] . وينتهي الطريق بغسان في الشام[٥] .

ونجد في الطريق الشرقي بني جُديد يتخلفون في رَيسوت على ساحل الشحر بين عمان وعدن [٦] ، ويحمد وحدان ومالك والحارث وعتيك ورئام في عمان[٧] ، وجماعة في هجر [٨] في البحرين[٩] وينتهي الطريق بدوس في في الحيرة والأنبار [١٠].

---

(١) البلاذري ١٦ . الهمداني ١١٦ .
(٢) ابن هشام ١ : ١٤ . الهمداني ٤٩ ، ٧٠ ، ١١٨ — ٢١ ، ٢٠٦ — ١١ . البلاذري ١٦ . البكري ١٥ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ٤٢٨ . ياقوت ٣ : ٦٦ .
(٣) ابن هشام ١ : ١٤ . ابن الأثير الكامل ١ : ٤٩٢ . الهمداني ٢١١ . البلاذري ١٧ .
(٤) ابن هشام ١ : ١٤ ابن الاثير ١ : ٤٩٢ البلاذري ١٦ .
(٥) ابن هشام ١ : ١٥ . ابن الأثير ١ ٤٩٢ . البلاذري ١٧ الهمداني ٢١١ .
(٦) الهمداني ٥١ ، ٢١١ .
(٧) الهمداني ٥٢ ، ٢١١ . ابن هشام ١ : ١٤ البلاذري ١٦ ، ٧٦ . البكري ٤٦،٨٢.
(٨) البكري ١٢ ، ٧٩ .
(٩) البكري ١٢ ، ٧٩ . ابن الأثير ١ : ٢٤٣ .
(١٠) الهمداني ٢١١ ، والبلاذري ١٦ . البكري ٤٧٩ . ابن الأثير ١ : ١٩٥ .

واختلطت القبائل الأزدية التي نزلت بشرق شبه الجزيرة العربية وبغربهـا بأهل البلاد الأصليين ، وعاشوا معهم ، رؤساء لهم في أماكن ، ومرءوسين في أخرى . ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل لحقت بهم في مواضعهم الجديدة هجرات أخرى من قبائل ترجع إلى أصول غـير أصول الأهالي الأصليين ومن وفدوا عليهم من الأزد .

فاختلط أزد الغرب في السراة بقبائـــل يمنية خالصة مثل مذحج [١] : وقبائل تختلف في أصلها مثل خثعم ، التي يدعيها النزاريون واليمنيون [٢] ؛ وقبائل مضرية مثل نصر وجشم ابني معاوية ، وكلاب بن ربيعة ، من هوازن من قيس عيلان [٣] . واختلطوا في مكة ببني جرهم وإسماعيل ، وفي المدينة باليهود ، وفي الشام بالرومان ومن حل فيه من قبائل العرب .

واختلط أزد الشرق بقبائل قضاعية مثل تيم اللات بن أسد في هجر [٤] ، وجرم ونهد والقين في عمان [٥] ، وقبائل نزارية مثل سامة بن لؤى من مضر في عمان [٦] ، وإياد بن نزار ، وسعد بن زيد مناة بن تميم ، من مضر في عمان والبحرين [٧] ، وعبد القيس وشَنّ من ربيعة في عمان والبحرين وهجر [٨] ، وقبائل تختلف في أصلها مثل بجيلة في عمان والبحرين [٩] .

وأجمل بعض الشعراء المنازل التي حل بها الأزديون في الجانب الشرقي من شبه الجزيرة العربية ، فقال [١٠] :

وأزْدٌ لها البَحْرانِ ، والسيفُ كلُّه وأرضُ عُمانَ بعد أرضِ المشقَّرِ

هذا مجمل ما تعطينا الأخبار العربية عن الهجرات الأزدية خاصة من اليمن إلى أنحاء شبه الجزيرة العربية . ولكن ليس بين أيدينا من الوثائق ما يمكننا

---

(١) البكري : ٩٠ (٢) البكري : ٩٠ . (٣) البكري : ٦٦ ، ٩٠ .
(٤) البكوي : ١٢ . (٥) البكري ٤٥ — ٤٧ .
(٦) البكري ٤٦ — ٤٨ ، ٨٢ ، ٨٩ . (٧) البكري ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٨ .
(٨) البكري ٧٩ ، ٨٢ . (٩) البكري ٦٠ — ٦١ .
(١٠) الهمداني : صفة جزيرة العرب : ٢٠٦ .

من التأكد من تواريخ حلول كل قبيلة من قبائل الأزد في الموطن الجديد الذي حلت به ، وهل وقع كل ذلك نتيجة هجرة واحدة أو هجرات عدة كانت في تواريخ متباعدة ، وإن كانت القصص العربية تميل إلى الفرض الأول .

وحاول بعض المؤلفين أن ييسر على قرائه، فصنف بني الأزد إلى فئات . فجعلهم الجوهري [1] في الصحاح ثلاث فئات : أزد شَنوءة ، وأزْد عُمان ، وأزد السَّراة . ولكن القلقشندي عقب على هذا التقسيم قائلاً [2] : « على أن صاحب لعبر ذكر أن شنوءة كانت منازلهم السراة . فيحتمل أنهم كانوا نازلين أيضاً بها مجاورين لأزد السراة »

واتسع ركندورف Rechendorf في التقسيم فقال في مادة « أزد » من دائرة المعارف الإسلامية : « وقد تفرع عن هذه القبيلة المتشعبة أربعة بطون هامة ، هي : ١ — أزد عمان ، وتنكر قريش انتساب أزد عمان إلى العرب. ٢ — أزد السراة في الجبال المعروفة بهذا الاسم في اليمن . ٣ — أزد شنوءة : كعب ... ونسبهم هو كعب بن الحارث ... وهم يعيشون أيضاً في السراة . وشنوءة اسم ناحيـــة باليمن . ويظهر أن هؤلاء هم في الحقيقة أزد السراة . ٤ — أزد غسان : مازن ، في شمال جزيرة العرب وفي بلاد الشام . وكان الأوس والخزرج في المدينة ، وخزاعة في مكة وما جاورها يعتبرون من الأزد أيضاً » . ولكن التحكم واضح في هذا التقسيم ، إذ أرغم أصحابه على استبعاد الأوس والخزرج وخزاعة ، ولعل سبب الاستبعاد اشتهار هذه القبائل بنفسها دون أن تحتاج لأن تنتسب إلى جدها ، ولا سبب لفصل أزد شنوءة عن أزد السراة ، وهما قبائل واحدة ، تنتمي إلى أصل واحد ، وتعيش في منطقة واحدة . فالسراة والحجاز يعم بها بعضهم الجبال الفاصلة بين نجـــد وتهامة والممتدة من اليمن إلى أطراف الشام ؛ ويخص بها بعضهم الآخر فيجعل الحجاز الجبال الشمالية ، والسراة الجبال التي بين صنعاء والطائف . ويقولون :

---

(١) مادة أزد .　　　(٢) نهاية الأرب : ٩١ .

هي ثلاث سَرَوات ، أدناها من صنعاء سراة الأزد ، ووسطاها لبجيلة ، وأدناها من الطائف لثقيف وهذيل [١] .

وكان الأزديون عامة ودوس خاصة من عباد الأصنام في الجاهلية . ولم تصف المراجع القديمة من آلهتهم إلا ذا الخَلَصة ، الذي كان مروة بيضاء منقوشة ، عليها كهيئة التاج ، فيما يقول ابن الكلبي [٢] . وقال ركندورف إنهم كانوا من أهم عباد مَناة. ونعرف أسماء مجموعة أخرى من آلهتهم غير أننا لا نعرف صفاتها ، وهي ذو الكفين ، وذو الشَّرَى ، وعائم ، وباجَر [٣] . وربما كانت هناك علاقة ما بين بعض آلهة دوس والزنا الذي كان غالباً عليها[٤].

ولا عجب أن يكون الأزديون – وهم من اليمن ذات الحضارة الموغلة في القدم – أكثر من القبائل المجاورة لهم في مواطنهم الجديدة ميلاً إلى الاستقرار، وأخذا بأساليب التحضر ، وإقبالاً على الأعمـــال التي يأنف منها البدوي . فاشتغلوا في عُمان بصيد السمك ، وفي السراة بالحياكة ، وفي المدينة بالزراعة . وكان كثير من القبائل البدوية تحتقرهم وتسخر منهم ، بل بلـغ الأمر إلى أن نفى بعض القبائل أزد عمان من العروبة وعدّهم عجما [٥] . ولعل ذلك ما جعلهم يؤثرون مجاورة اليهود في مزُون بِعُمان ، ويثرب بالحجاز .

ولعل هذه الخصائص التي اجتمعت فيهم هي التي هلتهم للتغلب على السكان الأصلاء في المواطن الجديدة التي حلوا بها على الرغم من اضطرارهم إلى النزوح عن وطنهم، وإلى التشتت في أنحاء شبه الجزيرة. فصار آل الجُلُنْدَى سادة عمان ، وخزاعة سادة مكة مدة من الزمان ، والأوس والخزرج ما صارا بيثرب . وشيد الغساسنة إمارتهم بالشام .

وانفرد أزد السراة بظاهرتين : فقـــد غلب عليهم الميل إلى الغزل ،

---

(١) ابن رشيق : العمدة ١ : ٥٥ . وياقوت : معجم البلدان ٣ : ٦٦ .
(٢) الأصنام ٣٤ .
(٣) ابن هشام ١/٨٤، ٨٨ و٢ : ٢٤ . وابن الكلبي : الأصنام ٣٤ .
(٤) ابن هشام ١ : ٢٤ .
(٥) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ٣٨٢ . ودائرة المعارف الإسلامية ، مادة أزد .

وأقرّوه فيهم . ولم يعودوا يأنفون منه أو يأبونه على رجالهم ونسائهم . وعرفوا بالفصاحة ، حتى عدّهم بعض العلماء من أفصح القبائل العربية . قال الخليل بن أحمد [١] : أفصح الناس أزد السراة . وقال أبو عمرو بن العلاء [٢]: أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات .

وللفصاحة هنا معنى خاص فسره المبرد حين قال [٣] : « كل عربي لم تتغير لغته فصيح على مذهب قومه . وإنما يقال : بنو فلان أفصح من بني فلان ، أي أشبَه لغةً بلغة القرآن ولغة قريش » . ولعل ذلك هو السبب في اختلاف النحويين في أي القبائل أفصح ، إذ اختلفوا في مدى قرب لغة كل منها من لغة القرآن ، وذلك أمر طبيعي لأنه لا يقوم على قياس مادي .

ولما كانت البعثة النبوية ودعا الرسول ﷺ إلى الإسلام ، كان الطفيل بن عمرو الدوسي ، أول من أسلم من بني الأزد . وكان ذلك منه قبل الهجرة ، بعد فشل مقاطعة قريش لبني هاشم . وعاد الطفيل إلى موطنه داعية إلى الإسلام فلم يؤمن به غير أهل بيته . فذهب إلى مكة والتقى بالرسول ﷺ ثانية وتزود منه . ثم عاد إلى قومه واستأنف دعوته . فاستطاع أن يستميل قرابة ثمانين بيتاً منهم ، هاجر بهم فلحقوا بالرسول ﷺ في غزوته لخيبر ، في محرم سنة ٧ هـ .

وفي العام العاشر ، قدم صُرد بن عبد الله الأزدي ، في وفد من قومه ، على رسول الله ﷺ ، فأسلموا . فأمّره رسول الله ﷺ عليهم ، وبعثه داعية إلى قومه وأميرا عليهم . وأمره أن يجاهد بالمسلمين من جاوره من المشركين في اليمن ، فحاصر مدينة جُرَش الحصينة ، فلم يستطع أن يتغلب عليها قسراً ، فتظاهر بالرجوع عنها حتى اختفى في جبل قريب يسمى شكر ، فظن أهل جرش أنه انهزم عنهم وخرجوا يتبعونه ، ولكن الكمين عطف

---

(١) المبرد : الفاضل ١١٢ . (٢) العمدة ١ : ٥٥ . معجم البلدان ٣ : ٦٦ .
(٣) الفاضل ١١٣ . وانظر خصائص ابن جنيّ ٢ : ١٠ .

عليهم فهزمهم ودخـــل مدينتهم ، ونشر الإسلام فيها . وبعث وفداً منهم لملاقاة الرسول ﷺ .

وفي العام نفسه ، بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، إلى بني الحارث ابن كعب في نجران يدعوهم إلى الإسلام أو القتال . فأسلموا وعلّمهم خالد أركان دينهم . ثم جاء بجماعة من كبرائهم إلى رسول الله ﷺ . فأمّر عليهم قيس بن الحصين وبعث إليهم عمرو بن حزم ، ليفقههم في الدين ، ويأخذ منهم صدقاتهم .

أما أزد عمان فكان أول اتصال بين الرسول ﷺ وبينهم عندما أرسل رسله إلى أمراء العرب وملوك الدول المجاورة يدعوهم إلى الإسلام ، في سنة ٧ أو ٨ من الهجرة . فكان رسوله إلى ابني الجُلُنْدي الأزديين ، ملكي عمان ، عمرو بن العاص وأبا زيد الأنصاري. فأفلحا في سفارتهما ونشرا الإسلام هناك.

وعند الردة كان من بني الأزد من حافظ على إسلامه وقاتل في سبيله مثل الطفيل بن عمرو الدوسي الذي قاتل طليحة الأسدي، ومنهم من ارتد وقاتل المسلمين . أما من ارتد من أزد السراة ، فقد انضم إلى المرتدين من بجيلة وخثعم ، وولوا عليهم حُمَيضة بن النعمان . فبعث إليهم الصديق عثمان بن أبي العاص في جيش ، فجرد إليهم سرية تحت قيادة عثمان بن ربيعة ، هزمتهم وشتتت رؤوسهم وأرجعت بقيّتهم إلى حوزة الإسلام .

وفي عمان ، كان ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي ينافس ابني الجلندى على الإمارة منذ الجاهلية . فاهتبل فرصة وفاة الرسول ﷺ وما حدث من ردة ، فارتد وحاكى غيره من المرتدين ليدعم قضيته ، فادعى النبوة ، واتخذ من « دبا » مقرّاً له . ولكن ابني الجلندي حافظـــا على إسلامها واعتصما بالجبال. وبعث إليهما الصديق عدة كان من رؤسائها حذيفة بن مِحْصن الغطفاني وعَرْفجة بن هَرْثمة البارقي الأزدي . فاستمالوا بعض قواد ذي التاج فارفضّوا من حوله . ثم التقوا في معركة عنيفة كاد يهزم المسلمون فيها . ولكنها انتهت بالنصر لهم ، فطاردوا المرتدين الهـــاربين ، وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف ،

وسبو الذراري ، وقسموا الأموال ، وبعثوا الخمس إلى الخليفة مع عرفجة . وتولى حذيفة إمارة عمان ، التي استقرت أحوالها أعواماً طويلة .

وأطلق ركندو ف القول فأعلن أن الأزد لم تشترك في حروب الفتح التي قام بها الخلفاء الراشدون إلا في عهد عثمان . ولكن هذا القول واهي السند .

فقد كان احد القواد الأربعة الذين عهد إليهم أبو بكر فتح الشام شرحبيل ابن حسنة ، الذي ينسبه بعضهم إلى الأزد [1] . وكان ممن أصيب في موقعة اليرموك جندب بن عمرو الدّوسي [2] ، مما يدل على اشتراك بعض قبائل الأزد في فتوح الشام منذ عهد أبي بكر .

وعندما اتسعت حركة الفتح ، وتعددت ميادين القتال وتباعدت ، ظهرت حاجة المسلمين إلى المقاتلين . فأوصى أبو بكر عمر بن الخطاب ، وهو يجود بحياته ، أن يأذن لمن كان قد ارتد من العرب أن يشارك في شرف القتال ، وكان أبو بكر قد حرمهم إياه . فاستجاب عمر وفتح أمامهم الأبواب التي كانت موصدة دونهم ، وترك لهم حرية اختيار أحد ميادين القتال ليشاركوا فيه . فكأن أهل اليمن ينزعون إلى الشام وكانت مضر تنزع إلى العراق ، حتى قال عمر : أرحامكم أرسخ من أرحامنا ! ما بال مضر لا تذكر أسلافها من أهل الشام [3] ! » .

ولكن عمر اضطر إلى التدخل وتوجيه المقاتلين في بعض الأحيان فعندما أرسل سعد بن أبي وقاص إلى العراق لمقاتلة الفرس ، والقضاء على دولتهم ؛ عبّأ الفرس أعداداً غفيرة من قواتهم لصد السيل الإسلامي . وتبين أن العدد الموجود في العراق من العرب لا يستطيع أن يصمد أمام هذه الجموع بله أن يتغلب عليها ، ويتوغل في أراضيها . فأخذ عمر في ترغيب الناس في الانضمام إلى جند العراق .

وقد كان فيمن أتاه يستأذنه في الخروج للقتال جماعات أزدية ، وكانت رغبتها في الشام أيضاً . فألحّ عليها عمر في التوجه إلى العراق ، ورغبها في

(١) الطبري : ٣/٤٠٦ . (٢) الطبري ٣ : ٤٠٢ . (٣) الطبري ٣ : ٤٨٧ .

ثروات الفرس . فاستطاع لأي أن يوجّه جماعات كاملة إلى العراق أحيا [(١)]، وأن يقسم بعض الجماعات في أحيان أخرى فيرسل نصفها إلى الشام والنصف الآخر إلى العراق [(٢)] .

ولا شك أنه من العسير أن نتتبع قبيلة ما في الفتوح الإسلامية ، لأن المؤرخين لم يعنهم أن يذكروا من اشترك من القبائل في كل موقعة حربية . ولكن الأمر الذي يذهب بشيء من هذه المشقة أن العرب اعتادوا أن ينخرطوا في الجيوش جماعات لا أفراداً ، وأن يحافظوا على تجمعاتهم في داخل الجيوش التي التحقوا بها ، وآثروا أن يفودهم من كان منهم [(٣)] فلنا الحق حين نرى في موقعة قائداً أو رجلا أزديا أن نذهب إلى أن جماعة أزدية شاركت في هذه الموقعة .

وقد ذكرت تواريخ الفتح العربي لمصر أن الأزد اشتركوا فيه ، وصارت لهم خطة خاصة بهم في الفسطاط [(٤)] ، وصرحت بأسماء بعض البطون الأزدية التي استقرت بمصر ، مثل بـــني شبابة [(٥)] ، وبني بحر ، الذين كان لهم خطة مجاو ة لبني بليّ [(٦)] .

وذكر المؤرخون أن العلاء بن الحضرمي ـ عامل عمر على البحرين ـ وجّه هرثمة بن عرفجة البارقي من الأزد ، ففتح جزيرة في البحر مما يلي فارس [(٧)] .

وبعدما فرغ منها، طلب إليه عمر أن يلحق بعتبة بن غزوان في البصرة ، على رأس جماعة من قومه ، ففعل [(٨)] .

ولم يستقر الرجل بالبصرة ويخلد إلى السلام ، بل انخرط في جيش الفتح الإسلامي للعراق ، وكان له دور في المعارك الكبيرة ، كشف الطبري عن آثار منه في موقعة البويب [(٩)] ، وتكريت [(١٠)] .

---

(١) الطبري ٣ : ٤٦٣ البلاذري : فتوح البلدان ٢٥٣ .
(٢) الطبري ٢ : ٤٨٤ .
(٣) الطبري ٣ : ٤٦٢ - ٣ : ٩ .
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٩٨ ، ١١٧ ، ١١٩ - ٢١
(٥) ابن عبد الحكم ١٢٠ .
(٦) ابن عبد الحكم ١١٦ .
(٧) البلاذري : فتوح البلدان ٣٨٦ .
(٨) البلاذري ٣٨٣ .
(٩) الطبري ٣ : ٤٦٦ .
(١٠) الطبري ٤ : ٣٥ .

ولم يكن الأزدي الوحيد في هذا القتال ، بل كان معه جماعة من قومه . قال يصف بعض ما لقاه في البويب : حزنا كتيبة منهم إلى الفرات ، ورجوت أن يكون الله تعالىقد أذن في غرقهم وسلـّى عنا بها مصيبة الجسر. فلما دخلوا في حد الأحراج كرّوا علينا ، فقاتلناهم قتالاً شديدا حتى قال بعض قومي : لو أخرت رايتك ! فقلت : عليّ إقدامها . وحملت بها على حاميتهم فقتلته ، فولوا نحو الفرات ، فما بلغه منهم أحد فيه الروح » .

وإذا كان الطبري لم يذكر اسمه في موقعة المدائن ، فقد أشار إلى اشتراك بعض الأزديين فيها [١] .

وشاركت الأزد في جبهة أخرى من جبهات القتال ، قريبة من موطنها الأصيل . ذكر المؤرخون أن عثمان بن أبي العاص الثقفي ـ لما ولاه عمر البحرين وعمان ـ وجّه أخاه الحكم في البحر إلى فارس، في جيش عظيم من عبد القيس والأزد وتميم وناجية وغيرهم ، فتح جزيرة ابركاوان وتوّج [٢] .

وكشف الطبري عن وجود الأزد في الجيوش التي توغلت في فارس . فقد كان المهلب ابن أبي صفرة أحد الذين حاربوا في مناذر[٣] سنة ١٧ هـ ، وكان أبوه على ميسرة المسلمين في موقعة أصطخر[٤] سنة ٢٣ هـ.

وتعد المدة التي ظهرت فيها أسرة المهالبة ، وتولى أفراد منها جيوشاً للمسلمين ، العصر الذهبي للازد . فقد كانت صفات كثير من المهالبة تؤهلهم للقيادة الكـُفـْأة ، وحازت لهم من الانتصارات في حروبهم الداخلية ضد الخوارج ، والخارجية ضد غير المسلمين ، وكسبت لهم شهرة بين الخاصة والعامة لم تفقد بريقها إلى يومنا هذا . ويكفي أن أشير إلى أن المهلب كانت له جولاته الموفقة في فتوح السند سنة ٤٤ هـ [٥] ، وخجندة وكش والختل ورابنجان سنة ٨٠[٦] ، وكان لابنه يزيد مثل هذه الجولات في فتوح خوارزم

---

(١) الطبري ٤ : ١٢ .
(٢) البلاذي ٣٨٦.
(٣) البلاذري . فتوح البلدان ٦٥
(٤) الطبري ٤ : ١٧٧ .
(٥) البلاذري ٥٣١ .
(٦) البلاذري ٥١٤ .

سنة ٨٢[١]، وجرجان وطبرستان سنة ٩٦[٢]. وكان لابنه الآخر المفضل جولاته في فتوح بادغيس[٣] .

ويبدو أن الأزد عرفت لهؤلاء القواد ما يكسبونها إياه من شرف حديث على شرفها القديم ، فقد مت لهم ما أرادوه من مقاتلين، واستبسال في القتال، وصبر حتى التضحية ، وقد سجل الشعر بعض ذلك ، إذ قال قائل في معركة بنة من معارك السند[٤] :

ألم ترَ أن الأزد ليلة بَيَّتوا ببنّة كانوا خير جيش المهلب

وإذا كان الأزديون الذين أقاموا بالعراق وفارس اضطلعوا بقسط كبير في حروب المشرق ، فإن الأزديين الذين استوطنوا الشام ومصر كان لهم نصيبهم في الجهاد في المغرب فقد شاركوا منذ عهد الخليفة في الغزوات البحرية ، ووردت إشارات إلى أفراد منهم في غزوات سنة ٢٨ [٥] .

وعندما خرج عبد الله بن سعد بن أبي السرح ـ أمير مصر في عهد عثمان ـ على رأس جيش لفتح ليبيا ، كان هذا الجيش يضم عدداً كبيراً من الأزديين ، حتى قال ابن عبد الحكم [٦] : « عن ابن لهيعة : كانت مهرة في غزوة عبد الله ابن سعد وحدهم ستمئة رجل ، وغنث من الأزد سبعمئة رجل ، وميدعان سبعمئة ؛ وميدعان من الأزد » .

إذن شاركت الأزد في الفتوح الإسلامية ، على تعدد جبهاتها وتباعدها . وكان أكبر ما حازت من مآثر في هذا الصدد في الجبهة المشرقية ، الممتدة من العراق إلى الهند والصين . وفي ذلك الدليل الجلي على إقامة الأزد في هذه الأصقاع .

ويعطينا العرض السريع السابق ما يؤكد نزوح الأزد إلى العراق منذ عهد عمر بن الخطا ، بل أوائل عهده .

---

(١) البلاذري ٤١٧ . (٢) البلاذري ٤١٤ . (٣) البلاذري ٥١٤
(٤) البلاذري ٥٣١ (٥) الطبري ٤ : ٢٦١ (٦) فتوح مصر ١٨٤ .

ولكن متى هاجرت جماعات أزدية إلى البصرة ؟ تلك هي المسألة التي تعنيني هنا ، إذ هي بغيتي .

عثرت في «شرح النقائض» على نص، يحدد موعد هذه الهجرة، ويقول[١]: « قال أبو عبيدة : وزعم محمد بن حفص ويونس بن حبيب وهبيرة بن حدير وزهير بن هنيد أن مضر كانت تكاثر ربيعة بالبصرة ، وكانت جماعة الأزد آخر من نزل البصرة ، حين بصّرت البصرة قال : فلما حوّل عمر بن الخطاب (ض) من تنخ من المسلمين إلى البصرة ، أقامت جماعة الأزد ولم يتحولوا ، ثم لحقوا بعد ذلك بالبصرة في آخر خلافة معاوية، وأول خلافة يزيد بن معاوية.. »

وتلقف كل من تعرض للأزد هذا القول ، وتبادلوه : بعضهم في اطمئنان تام ، مثل ركندورف الذي قال : « ولم يقو شأن الأزد إلا بعد أن استقر العدد الكبير منهم في البصرة ، وكانوا حوالي نهاية حكم معاوية وبدء عهد ابنه يزيد قد جمعوا جموعهم ، وهاجروا إلى البصرة .. » . واعتمد عليه بعضهم في شيء من الحذر .

ويدعم أبو الحسن المدائني رواية أبي عبيدة ، إذ يقول [٢] : « أراد شيرويه الأسواري أن ينزل في بكر بن وائل مع خالد بن المعمّر وبني سدوس ، فأبى سياه ذلك . فنزلوا في بني تميم، ولم يكن يومئذ الأزد بالبصرة ولا عبد شمس » .

ولكننا حين نعرض هذه الأقوال على أحداث البصرة في هذه المدة نجدها تتنافر معها كل التنافر .

فالشائع بين المؤرخين أن البصرت مُصّرت في سنة ١٤ أو ١٦ هـ. ، وان الذي مصرها عتبة بن غزوان المازني ، الذي جاء في أربعين رجلاً ، منهم نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي وأبو بكرة وزياد بن أبيه وأخت لهم . ثم

---

(١) النقائض ٧٢٨ . وورد النص مضطرباً بعض الشيء في تاريخ الطبري ٥ : ٥١٦ .
(٢) البلاذري ٣٧٣ .

انضم اليهم سويد بن قطبة فيمن معه من بكر وتميم ، فبلغ عددهم نحو ٦٠٠ رجل و ٦ نساء [١].

ثم أمدهم عمر بهرثمة بن عرفجة البارقي ومن معة من الأزد ، ويبدو أن أهل البصرة بنو حينئذ دساكرهم باللبن ، تلك الدساكر التي تتفق الروايات في عددها وتختلف في توزيعها. قيل [٢] : « ليس بها إلا سبع دساكر بالزابوقة والخريبة وموضع بني تميم والأزد : ثنتان بالخريبة ، وثنتان بالأزد ، وثنتان في موضع بني تميم ، وواحدة بالزابوقة » . وقيل [٣] : « اثنتان بالخريبة ، واثنتان بالزابوقة ، وثلاث في موضع دار الأزد اليوم » .

ويدل هذا الخبر على أن الأزد كانوا من أول من نزل البصرة من العرب ، وأن عددهم لم يكن قليلاً إذا نظرنا إلى عدد كل من نزل البلدة الجديدة . ولكن هذه الدلالة غير مؤكدة، لأن النص يقول : « موضع دار الأزد اليوم» فربما كان هذا الموضع لهم «اليوم» وكان لغيرهم « قبله » ، وخاصة إذا أضفنا تكملة الخبر التي تقول : « أمد عمر عتبة بهرثمة بن عرفجة ، وكان بالبحرين، فشهد بعض هذه الحروب ثم سار الى الموصل » فلعله ارتحل عنها بمن جاء معه من قومه أو أغلبهم .

ولكن هذا الشك لا يرافقنا طويلاً ، فالأخبار تؤكد وجود جماعة أزدية بالبصرة حوالي سنة ١٧هـ. فالخبر الذي أوردته عن المدائني آنفاً غير دقيق. وصحته أن جماعة من المقاتلين الفرس سالمت المسلمين بعد فتح السوس ، وأسلمت ، وقاتلت إلى جانب جيش أبي موسى الأشعري في تستر ونزلت هذه الجماعة بالبصرة وبحثت عمن تحالفه من القبائل العربية . وتختلف الروايات في الأمور التي طلبوها في القبيلة التي عزموا على محالفتها ولكنها تتفق في النتيجة . قيل [٤] : « فلما ساروا إلى البصرة سألوا : أي الأحياء أقرب نسب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل : بنو تميم . وكانوا على أن يحالفوا الازد ، فتركوهم

---

(١) البلاذري ٤٣٠ ، الطبري ٣ : ٥٩١ . ؛ ياقوت : معجم البلدان ١ : ٦٣٨ .
(٢) البلاذري ٤٣٠ . الطبري ٣ : ٥٩١ . ياقوت ١ : ٦٣٩ ، ٦٤١ .
(٣) ياقوت ١ : ٦٣٩ . (٤) البلاذري ٤٥٩ ، ٤٦١ .

وحالفوا بني تميم »، وقيل[1]: سألوا عن أمنع قبائل العرب فعادُوا تميماً ».

ولعل توليـة عمر بن الخطاب كعب بن سور الازدي لقضاء البصرة [2] تدعم هذه الأخبار، وتدل على هذا الوجود الأزدي في البصرة.

ثم تنهال الهجرة العربية على البصرة، حتى يبلغ عددهم في خلافة علي ابن أبي طالب ٦٠٠٠٠ سوى أبنائهم وعبدانهم ومواليهم [3]. ولا يحتاج وجود الأزد فيها إلى دليل، لأنهم شاركوا في جميع الوقائع الهامة التي حدثت منذ ذلك العهد.

ويكشف الطبري أن بني الحـدّان من الأزد كان لهم مسجد خاص، نزلت به السيدة عائشة عندما خرجت هي والزبير بن العوام وطلحة من الحجاز إلى العراق طلباً للثأر لدم عثمان. وكان لهم ساحة خاصة دار فيها قتال [4].

وبالرغم من الجهود التي بذلها كعب بن سور القاضي لمنع قومه من الأزد من من التخبط في ظلمات الفتنة التي شملت كبار المسلمين، لم يفلح في إقناعهم بسبب معارضة صبرة ابن شيمان له [5]. فخرج الأزديون لنصرة أم المؤمنين على الإمام علي. وتختلف الروايات في الرجال الذين رأسوهم في القتال، وتتفق على ما أبدوه من مظاهر الاستبسال. قال سيف [6]: « كانت الأزد على ثلاثة رؤساء: صبرة بن شيمان، ومسعود، وزياد بن عمرو ». وقال أبو مخنف [7]: « ورياسة الأزد من أهـل البصرة ـ وكانوا مع عائشة ـ لعبد الرحمن بن جشم بن أبي حنين الحمامي ـ فيما حدثني عامر بن حفص ـ ويقال: لصبرة بن شيمان الحدّاني، والراية مع عمرو بن الأشرف العتكي ».

وأنيط ببني الأزد وضبة حماية جمل السيدة عائشة، فدارت عنده معركة

---

(١) الطبري ٣ : ٥١٢ .
(٢) الطبري ٣ : ١٠١، ٢٤١ .
(٣) الطبري ٥ : ٧٩ .
(٤) الطبري ٤ : ٥٠٣ .
(٥) الطبري ٤ : ٥٠٥ .
(٦) الطبري ٥ : ٧٩
(٧) الطبري ٤ : ٥٢٢ . ابن الأثير : الكامل ٣ : ١٩٧

رهيبة من ارتفاع النهار إلى قريب من العصر ، وقع عبئها الأكبر على القبيلتين، اللتين أبدتا من ضروب البسالة ما ألهج لسان السيدة عائشة بالثناء [١] .

ولكن القتل استحر خاصة بالأزد ، حتى سجل الشعر ذاك ، وفخر به الفاخرون من أصحاب علي . قال رجل من بني ليث [٢] :

سائل بنا يوم لقينا الأزدا والخيلُ تعدو أشقرا ووردا
لما قطعنا كبدهم والزّندا سحقاً لهم في رأيهم وبعدا!!

وقال نمران بن أبي نمران الهمداني [٣] :

جرّدتُ سيفي في رجال الأزد أضرب في كهولهم والمردِ
كل طويـــل الساعدين نهدِ

وكانت خسارة الأزد في يوم الجمل فادحة . ويكفي أن نعرف أنه قتل من أهل بيت واحد ١٤ رجلاً ، لنطمئن إلى أن المؤرخين لا يبالغون حين يقولون إنهم فقدوا ما بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ قتيل [٤] .

وإن في هذه الأرقام – مهما كانت المبالغة التي ربما تسربت إليها – لدليلا أي دليل على كثرة الأزديين الذين استوطنوا البصرة في خلافتي عمر وعثمان ، وخاصة إذا أضفنا إلى ذلك أن الأزد بقي لديها من المقاتلة ما مكّن لها أن تخرج من جيش عبد الله بن عباس لتشترك مع علي في مواقع صفين [٥] .

وإذن ففلهوزن أكثر توفيقاً من (ركندروف) حين يحترس ويقول[٦]: « ولم تقو الأزد في البصرة إلا من طريق هجرة جاءت متأخرة .. ولكن لا يصح أن يظن الإنسان أن جميع الأزد لم يهاجروا إلى البصرة إلا حوالي سنة ٦٠ هـ، بل كان هناك أزد من قبل » .

ثم تهيأت الأمور كلها في عهد معاوية لهجرة أزدية كبيرة إلى العراق عامة والبصرة خاصة . فقد كان الخليفة محبّاً لهم ، معتمداً عليهم ، واثقاً بهم .

---

(١) الطبري ٤ : ٥١٢ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ . ابن الأثير ٣ : ٢١٦
(٢) الطبري ٤ : ٥١٢ . (٣) الطبري ٤ : ٥١٥ .
(٤) المسعودي : المروج ١ : ١٢ ؛ والتنبيه ٢٥٥ . الطبري ٤ : ٥٣٩ ، ٥٤٥ .
(٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ١١٧ . الطبري ٥ : ٧٩ .
(٦) تاريخ الدولة العربية ٣٨١ - ٢ .

روى الحارث بن يزيد أنه كتب إلى مسلمة بن مخلد وهو على مصر [١] : « لا تول عملك إلا أزدي أو حضرمي فإنهم أهل الأمانة » . وكانت عمان والبحرين والبصرة تحت سلطان رجل واحد ، منذ جمعها معاوية لزياد ابن أبيه . وكان هـذا الرجل – زياد – يدين للأزد بدين كبير ، عندما حموه وبيت ماله لما تأزمت الأمور بينه وبين بني تميم في خلافة علي [٢] . وكان يعترف بهذه الصنيعة الجميلة لهم ، ويودهم ، ويرى فيهم حصنه وحصن أولاده بعده . قال عبيد الله بن زياد حين لجأ إلى الأزد يحتمي بهم بعد اضطراب البصرة عليه بعد وفاة الخليفة يزيد [٣] : « إن أبي كان أوصاني إن احتجت إلى الهرب يوماً أن أختاركم ، وإن نفسي تأبى غيركم » . وكانت هذه العلاقة الخاصة بين الأزد وآل زياد معروفة من أهل البصرة ، ولذلك اتجهت أبصارهم إلى الأزد فور اختفاء ابن زياد من قصر الإمارة . قال الطبري [٤] : « وفقد الناس ابن زياد فقالوا : أين توجه ؟ فقالوا : ما هو إلا في الازد » . وأخيراً أخذ بنو أبي صفرة العتكي الأزدي في الظهور ، وشغل المكانة الكبيرة في البصرة ، وصيرورتهم أهل الثقة والاعتماد في قيادة الجنود ، وسياسة البلاد .

فلا عجب أن تأتي هجرات أزدية بعدها هجرات ، تلفت أنظار الناس ، وتشغلها عما سواها ، وتنسيها ما قبلها ، فيعتقد كثيرون أنها الهجرات الأزدية الأولى إلى البصرة . وبعد هذه الهجرات يتجلى الدور الذي قامت به الأزد في التاريخ الإسلامي ، فتختفي منه مواضع الظلام والإبهام ، التي جعلت المؤرخين يتعثرون .

الدكتور حسين نصار

الاستاذ بكلية الآداب – جامعة القاهرة

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٢٢ . (٢) الطبري ٥ : ١١٠ . ابن الأثير ٣ : ٣٠٤ .
(٣) الطبري ٥ : ٥٠٩ . ابن الاثير ٤ : ١١١ – ١١٧ . (٤) الطبري ٥ : ٥١١ .

حملة شمر يهرعش على شرق الجزيرة

إن لإسم الملك الحميري (شمر يهرعش ، ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت) مكانة عظيمة عند من كتب عن التاريخ اليمني من المؤرخين العرب القدامى ، وخاصة المؤرخين اليمانين . ففي القرن الأول للهجرة كتب الأخباريون اليمنيون ، أمثال عبيد بن شرية الجرهمي (ت ٦٧ هـ - ٦٨٦ م) صاحب كتاب « أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارهم وأنسابهم »[١]، وكذلك وهب بن منبه (ت ١١٤هـ - ٧٣٢م) صاحب « كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم » والذي وصلنا منه كتاب «التيجان» عن طريق ابن هشام ، كتب هؤلاء تاريخ الجنوب العربي بصورة أسطورية . وكان سبب تزايد الأساطير والأعمال البطولية ونسبة فتوحات عظيمة لملوك الجنوب العربي هي مضاهاة لعرب الشمال عن الفتوحات التي قاموا بها في الإسلام [٢] .

فنجد أن عرب الجنوب ادعوا بأن لهم عدة أنبياء [٣] بينما لم يظهر إلا النبي محمد ﷺ بين قبائل معد ، ثم إن الامبراطورية والسيطرة في الإسلام كانت بيد عرب الشمال ، فالخليفة منهم وكذلك معظم الولاة كانوا من عرب

---

(١) نشر هذا الكتاب مع كتاب التيجان لوهب بن منبه ، حيدر آباد ١٣٤٧هـ/١٩٢٧ .

(٢) أنظر أيضاً كتاب الاكليل الهمداني . ج ١ - ٢ تحقيق محمد بن علي الأكوع ، القاهرة ، ١٩٦٣ - ١٩٦٦ ؛ ج ٨ تحقيق نبيه فارس ، برينستن ، ١٩٤٠ ، ج ١ ، تحقيق محب الدين الخطيب ، القاهرة ، ١٩٣٨ ؛ ولنشوان الحميري كتاب : مختارات من شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلام » تحقيق عظيم الدين أحمد ، ليدن ، ١٩١٦ ؛ نشوان : ملوك حمير وأقيال اليمن ، تحقيق اسماعيل المؤيد واسماعيل أحمد ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .

(٣) مثال ذلك أن النبي هود الذي لا يزل قبره يزار في حضرموت ، أنظر :
Serjent. «Hûd and Other Pre - Islamic ProPhets of Hadramaut». Le Muséon . LXVII (1954) . pp. 121 - 179 .

الشمال . ولذا نجد عربَ الجنوبِ يُمنّون أنفسهم بالقول : (نحن ملوك الناس قبل نبيّه) [١] .

ونسبوا فتوحات عظيمة لملوكهم قبل الإسلام ، مباهاة للفتوحات التي قام بها عرب الشمال فعندما فتح المسلمون سمرقند وجدوا على باب المدينة كتابة غريبة قرأهـا عرب الجنوب على انها : (هذا ملك العرب والعجم شمر يرعش) [٢] .

ويفهمُ من هذه الرواية كيف وجد عرب الجنوب في هذا النقش متنفساً لتحدي قتيبة بن مسلم الباهلي في أن ملوكهم قد وصلوا إلى هذه البلاد . وأكثر من ذلك ، فقد ذهبوا إلى الصين والهند وأوربا بينما لم يستطع عرب الشمال فتح الصين والهندِ واوربا [٣] . وليس غايتنا هنا التفصيل في الصراع الفكري والقبلي بين عرب الشمال والجنوب .

ولكن على الرغم من كثرة الأساطير والمبالغاتِ في الروايات العربية فإنْ هنالك حقيقة يجبُ التأكيدُ عليها ألا وهي مدى القوة والنفوذ اللذين كان يتمتع بها ملوك عربِ الجنوب وقوةُ السيطرة على قبائل الشمال . فمن دراسة تاريخ كندة والنقوش العربية التي اكتشفت حتى الآن نجد أنه كان للجنوب العربي سيطرة على عـرب الشمال ، وأحسن مثال على ذلك دولة كندة التي استطاعت أن تحكُمَ قبائل وسط الجزيرة العربية منذ مطلع القرن الخامس حتى سقوط دولة حِمْير، سنة ٥٢٥ للميلاد [٤] ، بمساندة ملوك حمير أو بتعبير

---

(١) أخبار عبيد بن شرية ص ٤٢٨ .

(٢) وضع يزيد بن مفرغ (ت ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م) سيرة تبع ، إنظر الأغاني ح ١٨ ص ١٨٢ (ط ببيروت) ، كما أنشد ابن أبي عينية مفاخر قحطان ، الأغاني ح ٢٠ ص ٤٦ ، (ط. ببيروت) .

(٣) أخبار ابن شرية ص ٤٢٩ .

(٤) أنظر عن كندة وسيطرتها على وسط الجزيرة :

C. Olinder . The king of kinada of the family of akil al - Murar Lunds Universitets Arsskrift . Ny Folja Forsta Ardelningen, Vol . 32 no. 1927 ·

أما عن سيطرة كندة على شرق الجزيرة فانظر :

Idem «Al - Gaun of the family of Akil al - Murar » · Le Monde Oriental . XXV (1931) . pp. 208 - 229 .

أدق ان كندة كانت تنوب عن ملوك حمير في السيطرة على قبائل وسط الجزيرة، وعندما يحدث أن تفقد سيطرتها يأتي ملوك حمير لإعادة تلك السيطرة.

ولنعد إلى النقوش الجنوبية، فيظهر منها أن نفوذ الجنوب العربي امتد إلى شمال الجزيرة حتى وصل إلى سوريا، وربما كان نفوذاً تجارياً، ثم أصبح سيطرة سياسية.

فقد اكتشف Nelson Glueck، في تل الخليفة (ايلات الحالية) بالقرب ابن العقبة، [١] نقشين جنوبيين Rés. 4918 bis، وقد يرجع تاريخهما إلى سنة ٨٠٠ ق. م. وهذا يدل على مدى نفوذ دولة معين في العلا وتبوك. كما اكتشفت عدة نقوش معنية في Dedan [٢]، التي هي العلا [٣]، والتي تقع شمال الحجاز، وكانت العلا وتبوك من المراكز التجارية المهمة في الطريق التجاري بين الجنوب العربي وبلاد الشام.

كما اكتشف نقش معيني في مصر قرب القاهرة، وهو شاهد قبر [٤]. واكتشفت مجموعة من النقوش في قرية الفاو جنوب وادي الدواسر [٥] على بعد ٩٥ ميل إلى الشمال الشرقي من جبل كوكب [٦]، والتي يعتقد بأنها كانت مستوطنة قديمة تقع على الطريق الواصل بين نجران والعراق عبر وادي الدواسر، والذي كان الطريق المهم بين نجران والخليج العربي. وفي هذا الاقليم أيضاً

(١) N. Glueck. « Tke first Campaign at Tell el - Kheleifeh ,» Basor Lxxi (1938) , pp. 3 - 17 .

(٢) A. Jaussen E T R, Savignac . R. « Nouvelle inscriptions minéenne d'e - Ela - Dedan , RB, vi (1910) pp. 521 - 531 .

(٣) Nusil , Northern Hegaz . pp. 274 - 275 .

(٤) Levi Della vida . « Pre - Islamic Arabia » , in The Arab Heritage , ed. Nabih Faris , New york : 1930 , pp, 32 - 33 .

(٥) P.Lipens, Expédition en Arabie Central paris. 1956, pp·32-33

(٦) A . Jamme. « Inscriptions photographed at Qaryat al - Fa'w » , RSO . XLI (1966) . p, 290 .

اكتشف كثير من النقوش من قبل شركة النفط العربية الأمريكية وفلبي[١] . كما اكتشف D. F. Brown عدة نقوش نشرت من قبل جام[٢] ، واكتشف السفير الأمريكي Parker T.Hart عدة نقوش في قرية الفاو نشرت من قبل جام أيضاً[٣] ، ولكن النقوش التي اكتشفت في هذه المنطقة هي عبارة عن كلمات لا تعطينا معلومات تاريخية مهمة ، كما أن البعض يعود إلى سيطرة سبأ.

وأهم النقوش التاريخية هي تلك التي اكتشفت من قبل بعثة G, Ryckmans وفلبي في وادي ماسل والتي سنتكلم عنها عند كلامنا عن أبي كرب أسعد وابرهة . هذا وإن عدداً من النقوش اكتشفت في شرق الجزيرة ، ولا بدّ أن نذكر أن Loftus اكتشف في الوركاء في جنوب العراق النقش CIH 699 . كما اكتشفت البعثة الألمانية في الوركاء في شتاء ١٩٥٥– ١٩٥٦ لوحاً يحمل حروف الجنوب العربي وهو محفوظ الآن في المتحف العراقي برقم IM 59821[٥]. كما اكتشف ثلاثة نقوش في الحسا ، إثنان اكتشفا من قبل شكسبير في سنة ١٩١١ م[٦] في ثاج والحنّاءة اللتين تقعان على بعد ١٥٠ كم إلى الشمال الغربي من الظهران ،

---

(١) Philby . « Two notes from Centrale Arabla , » G J. CXIII (1949) . pp . 86 - 93 ; Iden , « Motor Fracks and Sabacan Inscriptions in Najd » G J . CXVI (1950) , P. 211 .

وهذه النقوش نشرت من قبل ريكمنز :

G. Ryckmans , « Inscriptions sud Arabes .. » , Le Muséon , LXII (1949) , pp. 87 - 124 .

(٢) A. Jamme Sabaean and Hasaean Inseriptions from Saubi Arabia . Rome (1966) , PP. 39 – 59 .

(٣) A. Jamme , Inscriptions Photographed ... " RSO , XLI (1966) pp. 289 - 301 .

(٤) W. K. Loftus , Travels and Researches In Chaldaea and Susians in 1849 - 52 . London , 1857 , p· 233 .

(٥) أنظر تقرير البعثة.. Heinrich Lenzen. XIV Vorläu figer Bericht ,

(٦) D Carruthers . « Captain Shakespear's Last Journey , » G J , LIX (1922) , pp. 321 - 23 .

وهي على خط طول ٤٨ و ٩َ / ٤٢ْ درجة شرقاً .[١] والنقش الثالث اكتشف في ثاج أيضاً من قبل بعض الأعراب وقد أعطاه دكسن[٢] ، ونشر من قبل ريكمنز [Ry 155 - Rês, 4685][٣] .

وفي تشرين الثاني من سنة ١٩٤٥ م ، اكتشف بعض عمال شركة النفط العربية الأمريكية نقشاً قرب عـيـن الجون التي تقع في شرق الجزيرة مقابل البحرين، ونشر من قبل F. V. Winnett[٤]. ونقش آخر اكتشفه كورنويل في الحسا[٥] ، والذي يرجع تاريخه حسب رأي كورنويل إلى القرن الخامس أو السادس ، أما جام فيعتقد أنه يعود إلى القرن الرابع[٦] . ومن هذه النقوش لا نستطيع أن نبين العلاقة بين الجنوب العربي وشرق الجزيرة بصورة واضحة .

إن اكتشاف نقوش عربية جنوبية في مناطق كثيرة في وسط الجزيرة وشرقها وشمالها يدل على مدى نفوذ حكومة الجنوب العربي على هذه المناطق، أو على الأقل يشير إلى مدى النفوذ التجاري .

وأحسن مثال على سيطرة حكومـة الجنوب العربي على شرق الجزيرة العربية هي الحملة التي أرسلها الملك الحميري شمر يهرعش إلى هذه المنطقة ،

---

(١) Mandaville , James, p. « ThaJ : Apre - Islamic Site in North - eastern Arabia , » BASOR, No. 172 (1963) p. 10 .
وترجم المقال إلى العربية عبد الرزاق الريس بعنوان : « ثاج من الناحية الأثرية والتاريخية » « مجلة العرب » ج ٧ ، السنة الثانية ، محرم – ١٣٨٨ (نيسان ١٩٦٨) ص ٦٢٩ – ٦٤٧.

(٢) H. R. P. and V. P. D. Dickson « Thaj and Other Sites, » Irag, X (1948) , P. U.

(٣) G. Ryckmans , « Inscaription sud arabes » , Le Muséon L. (1937) , PP. 239 - 40 .

(٤) F. V. Winnett , « Ahimyaritic Inscription from Persian Culf Region » . Basor . No . 102 (1956) PP. 4 - 6 .

(٥) PP. Cornwall , « Ancient Arabia Expeditions in Hasa 1940 - 41 . » , G J . CVII (1946) P. 44 .

(٦) A. Jamme, Sabaean Inscriptions from Mahram Bilgîs (Mârib) Baltimore . (1962) , P. 267 ,

تلك الحملة التي دوّنها النقش المسمى بـ « نقش شرف الدين ٤٢ »[١] .
ويظهر من النقش المسمى Ja 660 أن شمر يهرعش بعد أن قضى على ثورة القبائل التي كانت تسكن شمال نجران ، وهم بنو الحارث بن كعب وسود ابن عامر (اسودان بن عمرو)[٢] والنخع[٣] بن عمرو وجرم[٤] ، أرسل شمر يهرعش حملته إلى شرق وشمال شرق الجزيرة ، تلك الحملة التي دونت أخبارها في نقش شرف الدين ٤٢ ، وتخبرنا حوادث هذا النقش بأن الحملة أرسلت أولاً إلى (م ل ك م ، ب ن ، ك . م ، م ل ك ل أ س د) « مالك بن م.ك ملك الأسد » والأسد قبيلة معروفة لدى النسابين العرب باسم الأزد [وباسم الأسْد أيضاً] .

ولا بد من الإشارة إلى أن أرض الأزد (أرض أ ل أ س د) وردت في نقش Ja 635 من الحوادث المعروفة في هذا النقش يظهر أن أرض الأزد يجب أن تكون في غرب الجزيرة العربية ، وان الأزد المذكورين في هذا النقش هم أزد السراة أو أزد شنوءة .

ولكن يظهر من محتويات نقش شرف الدين ٤٢ بأن الأزد المذكورين في هذا النقش يقصد بهم أزد عمان ، وعلى هذا فإن تسلسل الحوادث في هذا النقش تصبح منطقية . إذْ أنّ الحملة أرسلت إلى أزد عمان ومن ثم ذهَبَتْ إلى الشمال الشرقي من الجزيرة العربية أي إلى مدينة القطيف (ق ط و أ ف) حيث حصل قائد الحملة على سبي وغنائم ؛ ثم توجه قائد شمر يهرعش نحو سوك

---

(١) H.V, Wissmann'«Zur Kenntnis von Ostarabien Besonders Al- Qatif , im Atterttm, » Lemuséom , LXXX (1967) , PP 508 - 9 .

(٢) ترد في النقش (س و د م / ب ن / ع م ر م) وعلى الأكثر يقصد بها أسودان بن عمرو من نفس قبيلة جرم المذكورة في نفس النقش ، انظر عن قبيلة أسودان بن عمرو : ابن حزم : «جمهرة أنساب العرب ». ص ٤٠٠ ؛ القلقشندي : النهاية ص ٢٩٩ .

(٣) أنظر القلقشندي : النهاية ص ٧٦ ، أما مساكن النخع فهي بيشة البكري : ص ٦٣ .

(٤) أنظر ابن حزم ص ٤٠٠ . أما مساكنها فهي نجران وتثليث ؛ البكري ص ٤٠ . لقد اعتبر الدكتور جواد علي هذه القبائل أسماء رجال والصواب ما ذكرته . أنظر الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ ص ٥٥٦ .

(س و ك)[1] والتي يطلق عليها حتى الآن اسم أم الساهك القرية التي يقدر سكانهـا بنحو ٣٠٠٠ نسمةٍ والتي تقع على بعد ١٤ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة القطيف .

ويظهر أن كلاً من القطيف وسوك (أم الساهك) كانتا تحت النفوذ الفارسي آنذاك (م م ل ك ت ي ف ر س) ومملكتي فارس هنا لا يُقصد بهما دولة أو مملكة فـارس ، إذ يظهر أن المقصود هنا الإمـارتان الخاضعتان للفـرس .

وبعد ذلك سارت الحملة إلى أرض تنوخ[2] (أرض تاناخ) وأرض تنوخ في هذا النقش لا بد أن تكون في منطقة البحرين علماً بأن تنوخ كما تذكر المصادر العربية كانت قد هاجرت إلى الشمال قبل حوادث هذه الحملة ومع ذلك فإنه يظهر أن بعض قبائل تنوخ كانت لا تزال تسكن فيها ، أو أن تنوخ كانت في وقت هذه الحملة لها نفوذ سياسي على هذه المنطقة ، وبذا تكون علاقة تنوخ بالبحرين مستمرة ، وليست ذكريات قبلية .

وهكذا يفهم من نقش شرف الدين ٤٢ أن سيطرة الجنوب العربي في زمن شمر يهرعش كانت قد امتدّت إلى الشرق والشمال الشرقي من جزيرة العرب

---

(١) لقد ورد اسم سوك في نقش شرف الدين ٤٢ ، وليس كوك أو كوكب ، أو كوكبان أو كوكبن كما قراها الدكتور جواد علي في : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ ص ٥٥٠



القراءة الصحيحة لهاتين الكلمتين – الصورة الأصلية الـتي لدى الأستاذ أحمد حسين شرف الدين في صنعاء – وقد اطلع عليهـا الدكتور محمود الغول في نيسان ١٩٧١ عندمـا زار اليمن هي (ق ط و ص ف) و (ك و ك) والمكان الأول ينبغي أن يعتبر مدينة قطسفون (كما هو اسم مدائن كسرى بالآرامية) – أي موضع ايوان كسرى اليوم – وكوك موضع آخر لا صلة له بأم الساهك ، وصاحب الرأي في أن (قطوصف) هي مدائن كسرى هو الدكتور آرثر إرفن d. A. K. Irvine المدرس بجامعة لندن وقد ذكر هذا الرأي مشافهة للدكتور محمود الغول في لندن في حزيران ١٩٧٠ – وعن الدكتور الغول روينا هذا ولعل كوك (ك و ك) هي التي ذكرها ياقوت في « معجم البلدان » من أعمال نسا ، وهذان الموضعان المذكوران أخيراً أقرب في المطابقة للنص الأثري وحوادث الفترة، لا سيما وأن النقش نفسه يصفهما (مملكة فارس).

(٢) أرض تنوخ لا علاقة لها بمملكتي فارس كما فهم ذلك الدكتور جواد علي كما أن قراءته للنقش وشرحه بعيد عن الصواب .

وأن جيوشه كانت قد اصطدمت مع مصالح الفرس إذ هاجمت القطيف وسوك مملكتي الفرس، (ق ط و أ ف و س و ك م م ل ك ت ي ف ر س) . وهذا يعني أن جيش شمر يهرعش قد اصطدم مع المصالح الفارسية ، وربما وصل إلى جنوب العراق .

إن مصادرنا العربية تنسب إلى شمر يهرعش فتوحات كثيرة ، إذ أنه قهر الفرس وفتح الهند والصين . وهذا الادعاء من قبل المصادر العربية يجب أن يدرس وأن لا يهمل كلياً على أنه غير صحيح ، وذلك لأن بعض هذه الروايات وجدت لها سنداً قوياً في محتويات نقش شرف الدين ٤٢ .

إن رواية الطبري تخبرنا عن حوادث يمكن ربطها بمحتويات نقش شرف الدين ٤٢ فرواية الطبري تقول : وكانت بلاد العرب أدنى البلاد إلى فارس . وكانوا أحوج الأمم إلى تناول شيء من معايشهم وبلادهم لسوء حالهم ، وشظف عيشهم ، فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين وكاظمة حتى أناخوا على أبر شهر وسواحل أردشيرُ خرّة وأسياف فارس . وغلبوا أهلها على مواشيهم وحروثهم ومعايشهم ، وأكثروا الفساد في تلك البلاد ، فمكثوا على ذلك من أمرهم حيناً ، لا يغزوهم أحد من الفرس ، لعقد تاج الملك على طفل من الأطفال وقلة هيبة الناس له ، حتى تحرك سابور وترعرع (١) ..

إن المصادر العربية تذكر كيف أن عرب البحرين وبني تميم في طفولة سابور الثاني (ذو الأكتاف) أغارت على جنوب العراق وعبر قسم منها الخليج العربي إلى الساحل الشرقي منه أي إلى الساحل الايراني ، وتنسب هذه الرواية بأن العرب قد عاثوا فساداً إذ استغلوا ضعف الدولة الساسانية في طفولة سابور . على أنه يجب أن لا نأخذ هذه الرواية على علاتها : فتقدم العرب إلى الشمال يظهر أنه صحيح وتؤيده حوادث نقش شرف الدين ٤٢ ، أما أن يكون هذا الغزو غير منظم وعفوياً فلا يمكن قبول ذلك ، ولكن يجب أن تفسر هذه الرواية على أن هناك دولة قوية منظمة لها أهداف توسعية ولها جيش قوي

---

(١) الطبري : تاريخ ج ١ ص ٨٣٦ - ٨٣٧ .

ونفوذ على قبائل وسط الجزيرة كانت تستطلع وتطمح في مد سلطانها إلى أقصى الشمال من جزيرة العرب والسيطرة على العراق وعلى الساحل الشرقي للخليج العربي . ولو قدر لحكم شمر يهرعش أن يمتد أكثر لكان من المحتمل أن يستمر في ارسال حملات أخرى لتوطيد حكمه فيها. ولكن يظهر أنه عندما قام سابور الثاني بحملته لإعادة السيطرة على شرق الجزيرة والانتقام من القبائل العربية [(١)] لم تكن هناك قوة يمنية تقف أمامه . إذ لا تشير المصادر العربية إلى أية مقاومة أو قوة يمنية وقفت أمام سابور الثاني .

أما زمن هذا الاحتلال العربي فيمكن معرفته إذا علمنا أن بداية حكم سابور الثاني كانت في سنة ٣٠٩ م [(٢)] ، وكان عند تسلمه الحكم طفلاً صغيراً ، ولهذا فإن هذا الاحتلال يجب أن يكون في العقد الثاني من القرن الرابع الميلادي ، أو بعبارة أخرى يمكن أن يكون حوالي سنة ٣١٥ م وبذا يمكن أن نقول إن حملة شمريهرعش كانت في حدود هذا التاريخ .

أما الروايات العربية التي تذكر بأن شمريهرعش قد غزا أواسط بلاد فارس ووصل إلى سمرقند ، فليس لها أصل تاريخي إذ لا تشير إلى ذلك تواريخ الأمم الأخرى ، ولكن ليس من الصعب تفسير مقصد الروايات العربية ، فعندما يذكر أصحاب هذه الروايات بأن شمريهرعش غزا كل بلاد فارس ، فربما ذهبوا إلى أن جيوشه قد وصلت إلى حدود بلاد فارس وانها احتلّت جزءاً منها كما تشير رواية الطبري ، والتي تؤيدها حوادث نقش شرف الدين ٤٢ .

ويمكن أيضاً تفسير ما تذهب إليه الروايات العربية من أن شمر يهرعش قد غزا الهند والصين ، وذلك إذا علمنا بأن سفن التجار الهنود والصينيين كانت ترسو في موانيء الخليج العربي ، وفي ميناء الأبُلّة (البصرة)

---

(١) الطبري : تاريخ ج ١ ص ٩٨٣ .

(٢) S Smith , « Events in Arabia in the 6th Century A. D. », BSOAS . XVI (1954) P. 442 .

وبهذا اعتبرت الروايات العربية هذه الأماكن جهة الهند والصين ، وأحسن مثال على ذلك أن الهمداني يسمي ميناء البصرة ميناء الهند [1] .

ومما مرّ سابقاً فليس من الصعب أن نجزم بأن الغزو العربي الذي يذكره الطبري هو نفس الحملة التي أرسلها شمر يهرعش والتي وصلت إلينا أخبارُها في نقش شرف الدين ٤٢ .

وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول بأن سيطرة الجنوب العربي كانت قد امتدت في زمن شمر يهرعش ليس فقط إلى وسط الجزيرة العربية وشرقها وإلى جنوب العراق ، بل أيضاً نظمت وشجعت القبائل العربية القاطنة في شرق الجزيرة العربية على عبور الخليج العربي إلى ساحله الشرقي للسيطرة على هذه البلاد .

ولكن يبدو أن هذه السيادة للجنوب العربي على شرق الجزيرة لم تستمر طويلا إذ انتهت قبل أن يقوم سابور الثاني بغزو البحرين وهجر واليمامة حتى وصل إلى حدود يثرب [2] ، وأخذ بعض العرب وأسكنهم في الأهواز وكرمان . ولا تذكر المصادر العربية أيّ هجوم قام به سابور الثاني ضد الجنوب العربي ، كما لا تذكر أيّ مقاومة لجيوش الجنوب العربي مما يدل على أن سيطرة الجنوب العربي لم تستمر طويلا ، إذ يظهر أن جيوش شمريهرعش انسحبت من هذه المنطقة قبل غزوة سابور الثاني ، أو ان حكومة الجنوب العربي كانت مشغولة في الداخل بحيث لم تتحدّ لهذه الحملة .

كما أن حوادث نقش النمارة ، Rès 483 ، المؤرخ في سنة ٣٢٨ م ، تسجل حروب امرىء القيس بن عمرو الذي غزا وسط الجزيرة العربية ، وأطلق على نفسه « ملك العرب كلهم » وعقد التاج على رأسه ، وأخضع الأسدين ، يذكر ابن حزم أن تنوخ أصلها من أسد . ويذكر ابن حزم [3] أيضاً أن أسد بن وبرة من قضاعة هم من تنوخ ، ولعل المقصود هنا بأحد

(١) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٢٠٤ .
(٢) الطبري ج ١ ص ٨٩٣ .
(٣) ابن حزم ص ٤٥٣ .

الاسدين هم تنوخ . كما أن قبيلة الأسد الثانية ، ربما تكون بنو أسد بن خزيمة [١] القبيلة الشمالية التي كانت تسكن نجد قرب جبلي سلمى وأجا قبل أن تستقر طيء في هذه [٢] .

كما أخضع امرؤ القيس ملوك نزار وقبائل معدّ وهزم مذحج . إن امرأ القيس قد دَحر قبيلة مذحج التي يعدها النسابة العرب من عرب الجنوب ، ولكن لا نعرف فيما إذا كانت مذحج زمن هذه الحملة موجودة في وسط الجزيرة أم في مواطنها الأصيلة شمال نجران ؟ .

ونحن لا نعرف عن مدة سيطرة امرىء القيس أو بنيه الذين عيّنهم حكاماً على القبائل واعترف لهم الفرس والروم بحكم هذه المنطقة ، إذ ليست لدينا معلومات عن ذلك سواء من المصادر العربية أو من النقوش ، حتى زمن أبي كرب أسعد ، الذي مد نفوذه على كل الجزيرة العربية . فلدينا نقش Ry 509 الذي يعود تاريخه إلى بداية القرن الخامس الميلادي ، والذي يذكر أن أبا كرب أسعد كان في أرض معد [٣] في وادي ماسل الجمح ، وماسل الجمح هو موطن معد ، كما يذكر هذا النقش اعراب كندة كانوا مع أبي كرب أسعد . ويمكن أن نستدل من هذا النقش ومن مصادرنا العربية على امتداد نفوذ الجنوب العربي السياسي على وسط وشرق الجزيرة ؛ إذ يذكر ابن خلدون [٤] أنا أبا كرب أسعد كان في المشقر قبل ذهابه إلى المدينة ، كما تذكر المصادر العربية أن أبا كرب غزا العراق [٥] – وربما جنوب العراق – وأخضع سكان مكة ويثرب لحكمه [٦] .

---

(١) المصدر السابق ص ١١ .

(٢) القلقشندي : النهاية ص ٣٧ .

(٣) ورد في نقش R / 509 [ارص / م و د م / ض م و] ولكن كلمة [م و د م] تظهر بوضوح في النقش الذي صوره الدكتور محمودالغول (م ع د م)، ولذا يجب أن تقرأ «أرض معد».

(٤) ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٥٩٦ .

(٥) ابن حبيب : المحبر ص ٣٦٨ ، الطبرى ج ١ ص ٦٨٤ من ابن الكلبي ، وانظر بن عبيد شرية ص ٤٧٢ مسكوية ج ١ ص ٥٩ .

(٦) الطبري ج ١ ص ٩١٩ ؛ نشوان الحميري ص ١٤٥ – ١٤٦ .

ولا بد من الأشارة إلى أنه يمكن أن نقول بأن أبا كرب أسعد عندما أضاف إلى لقبه الملكي « الاعراب في الطود وتهامة » ، كان يقصد بأعراب الطود القبائل البدوية في أواسط نجد، أي معد، بالإضافة إلى أعراب الحجاز.

أما كيف حكم ملوك الجنوب العربي وسط الجزيرة ؟ ، فإن الروايات العربية تذكر بأن ملوك كندة كانوا يمثلون ملوك الجنوب العربي في حكم قبائل معدٍّ . فيذكر ابن الكلبي [١] [ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩م] أن الحارث الكندي أرسل من قبل عمه تبّع حسان مع جيش لحكم معدٍّ . أما الهيثم بن عدي [٢] [ت ٢٠٦هـ / ٨٢١ م] فإنه يذكر بأنه بعد حرب البسوس اتفقت بكر وتغلب على أن تملك الحارث بن عمرو بن معاوية الكنديّ .

ومن الطريف أن نذكر أن نقش Ry 509 يذكر حسان يهنعم مع أبيه في حملته على معد وهنا يمكن أن نصدق الرواية العربية [٣] التي تقول بأن حساناً غزا جديس ، إذ من المحتمل أن يكون أبو كرب قد أرسل ابنه إلى اليمامة لإخضاعها ، كما يذكر ابن الكلبي أن قائد حسان كان عبد كلال الامير الحميري [٤] الذي لدينا نقش [٥] يذكر اسمه [CIH. 6] وهنا يجب أن نصحح معلوماتنا من أن طسم وجديس لم تكن من العرب البائدة ، بل يظهر أنها كانت تحت النفوذ الحميري في بداية القرن الخامس للميلاد ولما امتنعت جديس من دفع الإتاوة ، حسب رواية حماد الراوية [٦] [ت ١١٥هـ / ٧٧٢ م]

---

(١) الطبري ج ١ ص ٨٨١ ، وانظر ابن حبيب : المحبر ص ٣٦٨ .

(٢) الأغاني ج ٩ ص ٨١ (دار الكتب) ؛ ابن بدرون ص ١١٩ – ١٢٠ ؛ ابن الأثير الكامل ج ١ ص ٣٠٥ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٥ ص ٢٢٢ .

(٣) عبيد بن شرية ص ٣١٨ – ٣٢٢ ، وهب بن منبه : التيجان ص ١٧٥ ، ابن حبيب: أسماء المغتالين ص ١١٧ – ١٢٠ ، ابن بدرون ص ٥٢ – ٥٨ ، البغدادي : خزانة الأدب ج ٢ ص ٢٣٥ – ٢٣٩ ، ابو الفداء : المختصر ج ١ ص ٩٩ ، السمهودي : وفاء ج ١ ص ١٨٣ – ١٨٦ .

(٤) ابن الكلبي : نسب ورقة ١٤٥ [مخطوط] ؛ البلاذري : أنساب ج ١ ص ٧ ، ابن حزم ص ٤٣٤ .

(٥) انظر عن عبد كلال : خالد المسلي : عبد كلال أمير حميري » . العرب الجزء السابع – السنة الخامسة – محرم – ١٣٩١ (مارس) – آذار ص ٧٩٢ ٦١١٧ – ٦٣٤ .

(٦) ابن بدرون ص ٥٧ .

حاربهم حسان وافنام ، أو أنهم هجروا اليامة أو تفرقوا في القبائل فانطمس اسمهم ، وهذا يحدث كثيراً بين القبائل [١] .

وتجدر الاشارة هنا إلىأن الطبري[٢]يروى بأن جذيمة الأبرش ملك الحيرة جاء لغزو طسم وجديس فوجد حساناً قد سبقه في غزوها . وقد تعرضت مؤخرة جيشه لهجوم جيش حسان . من رواية الطبرى هذه - إن صحّت - نستدل على مدى التنافس بين ملوك حمير وملوك الحيرة علىالسيطرة على وسط الجزيرة وشرقها .

ومن المؤسف حقاً ، اننا لا نملك في الوقت الحاضر أي نقش يدون حملات لملوك حمير على وسط الجزيرة حتى زمن معدى كرب يعفر (سنة ٦٣١ سبئي= ٥٢١ م) ، إذ لدينا نقش دوّنه معدي كرب يعفر [Ry 510] يذكر ثورة الأعراب ، من ثعلبة ومضر وسبع ، كما يذكر النقش أن المنذر حاربهم ، ويذكر أن جيش معدي كرب كان يتكون من سبأ وحمـــير ورحبت وحضرموت و (ي ح ن) ومعه أيضاً اعراب كندة ومذحج [٣] .

وثعلبة هنا لا بدّ أن تكون من بكر بن وائل التي كانت تحت سيطرة

(١) تذكر المصادر اليونانية اسم قبيلة Jadisitae كانت تسكن شرق الجزيرة العربية حوالي سنة ١٢٥ - ١٣٠ م زيدان: تاريخ العرب قبلالإسلام ص ٧٩. ابن الكلبي : الأصنام ص ١١٠ يذكر أن صنم كثرى هو لطسم وجديس وكان يعبد إلىمجيء الاسلام، وقد كسر منقبل نهشل بن الربيس، أنظر تاج العروس ج ٢ ص ١٢٥، كما أن هناك مدن ومواقع توصف من قبل الجغرافيين العرب على أنها لطسم وجديس وقد جمع أسماءها جرجي زيدان ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢) الطبري : ج ١ ص ٧٥٠ ، وأنظر أيضاً الأغاني ج ١٤ ص ٧٣ [دار الكتب] ابن سلام : طبقات الشعراء ص ٣٢ - ٣٣ ؛ الأمدي : المختلف والمؤتلف ص ٣٤ ، البغدادي ؛ خزانة الأدب ج ٤ ص ٥٦٧ .

(٣) ان قراءة وشرح الدكتور جواد للنقش Ry 510 : Philby 228 لا أساس لها من الصحة وشرحه وقراءته لا تمت بصلة إلى واقعما هومدون بالنص،أنظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٥٩١ .

كندة [١] . أما سبع المذكورة في النقش فمن المحتمل أن تكون قبيلة سبيع القبيلة العربية الشمالية [٢] .

وحوادث هذا النقش تشير إلى أنـــه عندما ثارت ثعلبة وسبيع ومضر حاربهم المنذر ، ولا بد أن يكون المنذر قد انتهز فرصة ثورة هذه القبائل على كندة ممثلة الجنوب العربي فأراد أن يبسط نفوذه عليها ، ولكن معدي كرب يعفر جهز حملته المدوّنة أخبارها في هذا النقش لإعادة سيطرة كندة ، التي نعرف من المصادر العربية أنها كانت تحكم قبائل معد في هذه المنطقة ، أو بتعبير أدق إعادة سيطرة الجنوب العربي على هذه القبائل ، هذا ولا يذكر النقش أي اصطدام بين المنذر ملك الحيرة وبين معدي كرب يعفر ، ولكن يمكن أن نفترض أن معاهدة أو اتفاقاً عقد بينهما ، والذي بموجبه اعترف المنذر بسلطان معدي كرب يعفر على أعراب وسط الجزيرة ، وهكذا نلاحظ الصراع بين الجنوب العربي والحيرة في السيطرة على قبائل وسط الجزيرة ، ويظهر أيضاً أن قبائل شمال الجزيرة أصبحت تحت نفوذ الحيرة .

وقد فقدت كندة سيطرتها على قبائل وسط الجزيرة [٣] بعد أن احتل الأحباش الجنوب العربي سنة ٥٢٥ م ، إذ فقدت كندة سندها القوي بسقوط حكومة الجنوب العربي .

وبعد احتلال الأحباش للجنوب العربي وتعيين سميفع أشوع ملكا عليه من قبل الملك الحبشي [٤] ، أرسل البيزنطيون رسولاً ، اسمه يوليان Julianus

---

(١) الأغاني ج ٨ ص ٦٣ [ط دار الكتب] .

(٢) W. Caskel . Gamharat An - Nasab das Geuealogische Werk des Hisam Ibn Muhammad al kalbi . Leiden. 1966 Nol I P.5.

(٣) أما سيطرة كندة الجون على شرق الجزيرة فقد بقي إلى حوالي سنة ٧٥٠ م أي بعد يوم شعب جبلة أنظر :

Olinder . « Al - Gaun of The Family of Akil al - Murar » Le Monde Oriental . XXV (1931) . PP. 208 - 229 .

وبقي ملوك كندة في دومة الجندل إلى مجيء الإسلام .

(٤) The Book of The Himyarites , P . CXL ; Procopins , History of the wars . London . 1914 I , XX , 9 - 13 ,

حوالي سنة ٥٢٩ م (١) ، إلى سمويفع اشوع يطلبون منه أن يساعد امرأ القيس في اعادة سيطرته على معد ، ولكن سمويفع لم يفعل ذلك ، وربما لأن مركزه كان ضعيفاً، إذ من الصعب إرسال حملة تقطع الصحراء (٢) ، أو ربما — حسبما تذكر الروايات العربية — كان سمو يفع قد ساعد امرأ القيس إلا أن الأخير دُحر (٣) ، فلم يستطع سمو يفع مساعدته أكثر من ذلك .

وقد حاول أبرهة مدّ سلطانه إلى الشمال ، وقام بالفعل بقيادة حملة حارب فيها معداً في حلبان (٤) المكان الذي لا يزال يحمل نفس الأسم،والذي لا يبعد كثيراً عن طريق السيارات الذي يربط مكة بالرياض ، وعلى بعد ١٠٠ كم جنوب غرب ماسل (٥) وتذكر المصادر العربية اشارات إلى هذه الحملة منها شعر المخبّل السعدي :

ويوم أبي يكسوم والناس حضرٌ على حلبان إذ تقضي محاحله
فتحنا له باب الخضير وربه عزيز تمشّى بالسيوف أراحله (٦)

وقوله أيضاً (٧) .

ضربوا الأبرهة الأمور محلها حلبان فانطلقوا مع الأقوال
ومحرّقٌ (٨) والحارثان كلاهما شركاؤنا في الصهر والأموال

(١) Shahid, « Byzontium and kinda » B Z, L 111 (1960). p.62.

(٢) Procopius , I . XX . 12 .

(٣) تذكر المصاد العربية مرثد الخير بن ذي جدن ساعد امرأ القيس أنظر : Olinder The Kings ... P, 105 ومرثد ذكر مع أخيه سمويفع اشوع في نقش RES 4069 .

(٤) ذكرت حلبان في المصادر العربية ، أنظر ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٠٤ .

(٥) G.Ryckmans, «Through Sheba's kinddom ..GM . XXVII 1954 , P. 137 .

(٦) الهمداني : الاكليل ج ٢ ص ١٥٧ .

(٧) البكري : معجم ما استعجم ص ٤٦١ ، والبيت الأول يرد في « لسان العرب » مادة « حلب » وفي « تاج العروس » مادة « حلب » والأكليل ج ٢ ص ١٥٧ .

(٨) محرق هو عمرو بن هند : أنظر وسائل البلغاء ص ٣٤٨ (ط ٤ القاهرة . ١٩٥٤) ، لسان العرب ج ١٠ ص ٢٠٤ المرزباني: معجم الشعراء ص ١١ وقد اشتهر المناذرة باسم آل محرق أنظر : البلاذري : أنساب ج ١ ص ٢٨ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٨٦ ص ١٧٦ ، الأغاني ج ٢٢ ص ٤١٠ [ط بيروت] .

كما أن طرفة بن العبد كان في نجران حين تقدم أبرهة إلى الشمال ، فأرسل ينذر عمرو بن هند بذلك [١] . ويذكر في نقش أبرهة [Ry 506] أن عمرو بن المنذر تدخل ودفع رهائن لأبرهة فاعترف له الأخير بالسيادة على معد.

كما أن نقش Ry 506 يسجل حملة ثانية أرسلها أبرهة ضد بني عامر في وادي تربة ، وهنا لا نعرف فيما إذا كان بنو عامر ثاروا [أفسدوا] ضد أبرهة ، أي أنهم كانوا تحت نفوذ أبرهة قبل ارسال حملته ثم ثاروا عليه ، أم أنه أراد السيطرة عليهم ليضمن سيطرته على خط المواصلات بينه وبين حلفائه البيزنطيين في الشام . هذا وبعد ذلك انسحب ابرهة . ولا نعرف إلى متى امتد حكمه على وسط الجزيرة ، إذ أنه لم يخرج من اليمن إلا مرة واحدة ، كما ذكر بروكبيوس عندما طلب منه البيزنطيون أن يحارب الفرس من جنوب العراق . وهنا يمكن أن نقول إن حوادث هذه الحملة هي جزء من حوادث حملة الفيل ، وإن كان النقش لا يذكر أية حملة على مكة ، إذ ربما أرسل أبرهة جيشاً إلى مكة ولكنه باء بالفشل ، ولم يدون فشله ، أو أنه أرسل الحملة بعد تدوين نقشه Ry 506 .

وتاريخ هذه الحملة كما مدون في النقش هو سنة ٦٦٢ سبئي ، والذي يقابل سنة ٥٥٢ م ، وهو تاريخ عام الفيل حسب رواية الزهري [٢] .

الدكتور خالد العسلي

كلية الآداب – جامعة الرياض

---

(١) ابن حبيب : « المنمق » ص ٦٩ :

من مبلغ عمرو بن هند رسالة ··· فليت غراباً في السماء يناديكا

فريقان منهم كعبة الله زائراً ··· وآخر لما يقطع البحر آتيكا

بنجران ما قضّى الملوك أمورهم ··· فلا أسمعت ما ان أقمت بواديكا

وانظر ديوان طرفة بن العبد ص ١٤٦ – ١٤٧ (ط. باريس ١٠٩١ إذ يذكر « بحران » بدل من « بنجران » .

(٢) أنظر : خالد العسلي « هل ولد الرسول (ص) في عام الفيل » . « مجلة المنهل » الجزء الأول ، السنة ٣٧ ، المجلد ٣٢ ، المحرم ١٣٩١ هـ . ـ مارس (آذار) ١٩٧١ م ص ١٣–١٩ .

« الكَلِمُ النَّوابِغ » (١)

- ١ -

هي مجموعة حكم ونصائح متلونة بعبقرية الزمخشري ، وشخصيته العميقة ، وعلمه الواسع ، ومشاعره الجمة . وهي في الوقت نفسه ليست ذاتية ، ولا تعبيراً عن نفسه وتجاربه الشخصية فقط ، وإنما هي استخراج لمعاني الحياة ، والتعبير عنها ، والحث على ترقيتها لتنمية الطبيعة الانسانية ، فهو يصل في حكمه إلى قمة الأشياء الروحية ، فيغوص في أعمق أعماق النفس البشرية ، ويحللها كما يفعل الكيمياوي في المختبر ، فيثير في نفس المتلقي قوة معنوية ، وعواطف تحيي الضمير ، فتحثُّ على التمسك بالدين ومـــا فيه من الفضيلة ، والعدل ، والجد في العمل ، والتضحية ، واحترام الآخرين وحبهم ، كما ينهى عن الرذيلة ، والأنانية ، والشر والظلم والجهل والضلال والكسل والحقـــد

---

(١) تأليف جار الله ابي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري . ولد بزمخشر – من قرى خوارزم – يوم الأربعاء في السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م كان واسع العلم كثير الفضل ، غاية في الذكاء وجودة القريحة ، متفنناً في كل علم : النحو ، واللغة والتفسير ، والمعاني والبيان ، والشعر كما كان حسن السيرة في السر والاعلان . توفي بجرجانية خوارزم ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ / م ١١٤٤ . وكان حنفي المذهب معتزلي العقيدة . ومما يصور حب الزمخشري لمكة وتعلقه بها قوله :

أنا الجارُ جارُ الله مكـّة مركزي ومضربُ أوتادي ومعقد أطنابي
فمن يلفَ في بعضِ القريات رحلة فأمُّ القرى ملقى رحالي ومنتابي
ومَنْ كان في بعض المحاريبِ راكعاً فللكعبةِ البيت المحرم محرابي
إذا التصقتْ في آخر الليلِ لبقي بملتزمِ الأبرارِ من أيمُنِ البابِ
أو التصقت بالمستجارِ أو التقتْ على الركن أجفاني بسح وتسكابِ
فقلْ لملوكِ الأرض يلهوا ويلعبوا فذلك لهوي ما حييتُ وتلعابي

انظر ديوأن الأدب ورقة : ٦ . انظر المصادر في :

Geschichte der Arabischen Litteratur , I. 344 . Supl . I 54 , 160 , 172 , 507 , 513 .

The Encyclopaedia of Islam , 4 . ii , 1205 - 1207 .

والجشع وعن كل ما يؤدي إلى تأخر النفس البشرية والمجتمع الانساني ، فهو يأخذ بأيدينا إلى مجتمع مثالي راقٍ .

ومن جهة أخرى نستطيع أن نلحق هذا الكتاب بكتب التاريخ ، إذ فيه من النقد الاجتماعي القيم للأحداث السياسية والأخلاقية والدينية التي طبعت النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والنصف الأول من القرن السادس الهجري ، إذ نستطيعُ أن نفهم من خلال تلك الحكم ميزات تلك الفترة وعيوبها ، ونستشف روح ذلك العصر ، تناولها الزمخشري بأسلوب العالم الأديب ، والناقد البصير الواسع الاطلاع ، والملم بكل ما يجري حوله من أمور وأحداث .

وجدير بالذكر إن هذه الحكم معدودة في الصور البلاغية ، لما فيها من الدقة والطرافة ، ولما يتميز به لفظها من الرونق والرشاقة ، فضلاً عن جمالها ودقة تصويرها ، وايضاحها المعنى ، وايجازها في ادائه . فهي موحية صادقة في السيطرة على القارىء بحيث يحس المعنى أكمل إحساس وأوفاه .

وخلاصة القول : ان الزمخشري – في هذا الكتيب – يعبر عن المعنى تحت غطاء من الفنون البلاغية مليء بالتركيز واللمحات الخاطفة ، حتى لقد قال فيه السيد حبيب الدراجي التونسي :[1]

روض البلاغة قد تفتّح زهره ... وجرى بتسنيم الفصاحة نهرُهُ
أو ما ترى «الكلم النوابغ» قد بدت ... تزري بعقدٍ لا يثمّن قدرُهُ
من نسج جار الله أستاذ الورى ... المعتلى بين البرية قدرُهُ
يا زمرة الأدباء بشراكم بما ... قد همْ طلابُ المعارف نشرُهُ

تاريخ تأليف الكتاب :

لم يذكر الزمخشري نفسه السنة التي انتهى من تأليفه للكتاب هذا، ولكن كل الذي نستطيع قوله : انه ألفه بعد أن جاوز الثانية والأربعين من عمره ،

(١) الأبيات في الصفحة الأخيرة من كتاب « الكلم النوابغ » طبعة بيروت ،

أي بعد مرضته الناهكة التي أصيب بها سنة ثنتي عشرة بعد الخمسمائة (٥١٢) هجرية ، وقبل تأليفه لكتاب « الكشاف عن حقائق التنزيل » والذي انتهى منه في « ضحوة يوم الاثنين ، الثالث والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمانية وعشرين وخمسمائة » [١] ، الأشارة القاطعة التي عثرت عليها في « الكشاف » ألا وهي : «وفي نوابغ الكلم» : صنوان : من منح سائله ومنّ، ومن منع نائله وضن [٢] .

عنوانه :

ورد الكتاب باسم « النصائح الصغار » و « النصائح الصغرى » وباسم « الكلم النوابغ » و « نوابغ الكلم » فقد ذكره المؤرخون القدامى منهم ابن خلكان في « وفيات الأعيان » : ٢ / ١١٩ ، والسيوطي في « بغية الوعاة »: ٣٨٨ ، وطاش كبرى زادة في « مفتاح السعادة » : ١ / ٤٣ ، وحاج خليفة في « كشف الظنون » : ٢ / ١٩٧٨ ، وأدورد فانديك في « اكتفاء القنوع بما هو مطبوع » : ٣٤٣ باسم « الكلم النوابغ » . وذكره ياقوت الحموي في « ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب » : ٧ / ١٥٠ باسم : « الكلم النوابغ في المواعظ » . وذكره محمد عبد الجواد في « فهرس الخزانة التيمورية » : ٣ / ١٢٢ باسم « نوابغ الكلم » . وورد ذكره في « فهرس دار الكتب المصرية : ٣ / ٣٠٥ : (« الكلم النوابغ » ويسمى « النصائح الصغار » تأليف جار الله ..) .

أما عنوان مخطوطة المتحف البريطاني [٣] والتي اعتبرتها النسخة الأم فهو: « النصائح الصغار » .

وأما عنوان مخطوطة المتحف العراقي [٤] فقد كتب على الورقة الأولى : « كتاب نوابغ الكلم في الأدبية وتسمى النصائح الصغار لجار الله العلامة

---

(١) مقدمة الكشاف .

(٢) تفسير الكشاف . ١/١٢٥ . والقول في صفحة ١٢ من هذا الكتاب .

(٣) المخطوطة تحت رقم (Or. 3733) .

(٤) المخطوطة تحت رقم (٥٦٣) .

صاحب الكشاف » وهنا نتساءل ، يا ترى ما الاسم الصحيح للكتاب ؟ .
أقول إن التسمية الأصلية والصحيحة هي «الكلم النوابغ»بشهادة الزمخشري، فقد بدأ مقدمة الكتاب بقوله : اللهم إن ما منحتني من النعم السوابغ ،إلهام هذه « الكلم النوابغ » .

وذكره الزمخشري أيضاً باسم «نوابغ الكلم» في كتابه «ربيع الأبرار[١]» في باب السماء والكواكب وذكر العرش والكرسي قائلاً : « في نوابغ الكلم» شيّع الحسنة بحسن الجزاء ، فما أحسن الشعرى خلف الجوزاء »[٢] .

وذكره في كتابه « أساس البلاغة » في مادة « جدب » قائلاً : « وفي نوابغ الكلم : من كان آدب ، كان رحله أجدب »[٣] .

وفي مادة « رقن » : « العلم درس وتلقين ، لا طرس وترقين[٤] » .

ونقل الصفدي في كتابه « الغيث المسجم في شرح لامية العجم» ٢٧٨/٢ من الكتاب قائلاً : « ومن الكلم النوابغ : رب كلام أوردك مورد القتال ، أوردك مورد القذال[٥] . ومنها : يا بني ا قِ فاك ، مما يقرع قفاك »[٦] .

مما تقدم يصح أن يكون دليلاً كافياً على أن « الكلم النوابغ » و « نوابغ الكلم » هو أصل عنوان الكتاب . أمّا « النصائح الصغار » و « النصائح الصغرى » فهي التسمية الأصلية لكتاب « أطواق الذهب »[٧] ولكنها نسيت .

ومما يجب ذكره : أن هناك كتاباً آخر يحمل العنوان نفسه ، فقد جاء في فهرس الكتب العربية : ٣ / ٢١٣ « نوابغ الكلم » : وهي كلمات مختارة

---

(١) حققنا الجزء الأول منه وهو معد للطبع . (٢) القول من صفحة ١٦ من هذا الكتاب .
(٣) القول في صفحة ١٣ . ومعنى آدب: أفضل التفضيل من أدب النفس لا من أدب الدرس.
(٤) ، (٥) ، (٦) : في صفحة ١٧ و ١٢ و ١١ .
(٧) تأليف الزمخشري أيضاً . ترجمه المستشرق : « Joseph de Hammer» للألمانية وطبعه مع الأصل في فينا سنة ١٨٣٥ . وترجمه المستشرق : « Fleischer et Weil » وطبعه في شتجارت سنة ١٨٦٣ . وترجمه المستشرق الفرنسي «C.Barbier deMeynard» وطبعه باللغتين العربية والفرنسيةفي سنة١٨٧٦ بعنوان:أطواق الذهب Le Colliers D, Or وطبع بمصر طبعة تجارية .

من نوابغ كلم مشهوري الكتاب والشعراء العصريين ، في مقاصد شتى ، عني يجمعها الأديب عبد العال أحمد حمدان ، وابتدأها بكلمة للأمير محمد علي باشا ابن المرحوم محمد توفيق باشا خديري مصر سابقاً .. في معنى الحرية وكراهية التهتك والتبرج » .

شروحه :

لقد كان للكتاب صداه العميق ، وشهرته الواسعة ، مما حدا الأدباء إلى شرحه وتوضيحه لتقريبه إلى فهم الناس ، بشهادة حاج خليفة [٤] . « شرحه مؤيد الدين ابن الموفق ، وكان حياً في سنة (٦٤٠) ، أربعين وستمائة ، وشرحه بايزيد بن عبد الغفار القونوي ، وفرغ منه في شهر ربيع الآخر سنة (٩٨٣) ثلاث وثمانين وتسعمائة ، وشرحه المولى محمد المنشيء شيخ الحرم بالمدينة المنورة ، المتوفى سنة (١٠٠١) ، وشرحه العلامة سعد الدين التفتازاني وسماه بـ« النعم السوابغ في شرح النوابغ » وهو شرح ممزوج »[٥] .

ومما نقلته من « مؤلف مخطوط للأستاذ الفاضل محمد الصفائحي » مساعد الرئيس في مكتبة السليمانية في استانبول : عن المخطوطات العربية في تركيا . « نوابغ الكلم » : نسخة شرحها عبد الرزاق الكاتب بالصدارة الملقب بالمكتوبي وسماه « الشموس البوازغ في إضاءة مشكلات النوابغ » ، أوله : « الحمد لملهم البلغاء ، نسيج ديابيج الفقرات البليغة .. وشرحها أغا زاده بالتركية وسماه « محاسن الحسام » ، وشرحها عبد السلام بن زين الدين بن مجد الدين ابن خواجة شمس الدين السرامي ، أوله : (إن ما هـــو أحرى بالأقبال والقبول ، وأجرى على القلوب من القبول حمد لله سبحانه) .

← ولا أدري كيف فاتت الدكتور الجليل أحمد الحوفي النقطة التالية في كتابه « الزمخشري » حيث وضع تحت عنوان « حديقة النثر » ص ٢٨٠ – ٢٨٢ كتاب « أطواق الذهب » تحت رقم ٣ وكتاب النصائح الصغار والبوالغ الكبار » تحت رقم ٤ ، ثم أورد أقوالاً منها : « القاضي تعمل فيه الرشوة ما لا تعمل في الشارب النشوة » الخ .. من الأقوال ، ثم ذكر في الهامش النص مأخوذ من كتاب « أطواق الذهب » ص ٨ .

(١٤) كشف الظنون : ١٩٧٨/١ ،

(١٥) عُلق في الهامش : قيل ينبغي أن يصنف كتاب على نمط « النوابغ » هذه ويسمى بـ « توابع النوابغ » كما قال الشيخ محمد جلال الدين السيوطي .

وجاء في «فهرست كتب خطي كتابخانة آسان قدس رضوي» ما يلي[١]:
« وقد ألف موفق بن المجد الخاصي من علماء الآداب في القرن السابع الهجري المتوفى سنة (٦٤٠ هـ) كتاباً سماه « درر الدقائق ودرر الحقائق » للسلطان ناصر الدين داود بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب من ملوك الشام والمتوفى سنة (٦٥٦) هجرية . والحقيقة ان هذا الكتاب هو شرح لكتاب « النوابغ الكلم » للزمخشري ، وكتاب « شعر الشعراء » ، وكتاب « نثر النثرة » : ومنه نسخة في مكتبة آستان قدس رضوي تحت رقم (٤٥٦٢) » .

وورد في « فهرس الكتب العربية لدار الكتب المصرية »[٢] : « شرح الكلم » النوابغ : للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تأليف العلامة محمد بن دهقان علي النسفي . أوّله : اللهم : أصله يا الله ! وحـــذف حرف النداء وعوض عنه الميم الخ . طبع في مدينة روما سنة ١٨٧٢ ، عني بنشره وطبعه هنريكوس البرنس تولتنز ، وترجمه ووضع عليه ملاحظات باللغة اللاتينية .

وأخبرني الدكتور الفاضل الأستاذ حسين محفوظ : بأن له شرحاً لأبي حسن بن عبد الوهاب بن علاء الخيوقي الخوارزمي باسم « النعم السوابغ » مطبوع في قازان سنة ١٣١٤ [٣] .

مـــكانته :

يخبرنا حاج خليفة [٤] : ان جلال الدين السيوطي قـد قلّد الزمخشري فألّف كتاب « درر الكلم وغرر الحكم » على أسلوب نوابغ الزمخشري ، وهذا ما يدلُّ على أهمية الكتاب وفائدته، وبلوغه ذروة الكمال بحيث أصبح أنموذجاً يحتذى به ، فيدفع كاتباً ومؤرخاً شهيراً كالسيوطي أن يؤلف كتاباً ينسجه على منوال « الكلم النوابغ » .

(١) الجزء ٧/٣٤٠ .
(٢) الطبعة الأولى سنة ١٣٤٥/١٩٦٧ ، الجزء ٣ ص ٢١٣ .
(٣) أشار إلى هذا الشرح المستشرق بروكلمان في كتابه :
Ceschichte der Orabischen Litteratur , Supl . I. 512 .
(٤) كشف الظنون : ١/٧٤٨ .

النسخ التي اعتمدتها في التحقيق :

١ ـ مخطوطة المتحف البريطاني المحفوظة تحت رقم(Or . 3733)[1] والتي اعتبرتها النسخة الأم . كتب العنوان على الورقة الاولى داخل زخرف جميل على شكل زهرة : « النصائح الصغرى » خطأ وكتب تحته (الإمام العلامة الهمام ، أوحد المفسرين ، أمثل البلغاء المنوهين ، مولانا جار الله محمود الزمخشري – رحمه الله تعالى وسلم). توجد تمليكات كثيرة كتبت بخط رديء استطعت قراءة بعضها : (الحمدُ لله وحده ، ملكتُ هذا السفرَ الجليل المشتمل على خمسةٍ من المؤلفات المفيدة مولانا أمير المؤمنين ، وسيّد المرسلين ، المنصور بالله رب العالمين ، أبا العبّاس الحسين بن أمير المؤمنين المتوكل على الله ، حفظه الله وحماه آمين آمين) . وكتب تحتها : (للزمخشري – رحمه الله – قالها وأمر أن تدرج في أكفانه هذه :

إلهي قد أصبحتُ ضيفكَ في الثرى ... وللضيف حقٌّ عند كلِّ كريمِ

فهب لي ذنوبي في قِراي فإنَّها ... عظيمٌ ولا يُقرى بغير عظيمِ) .

وتحتها (الحمد لله ملك الفقير إلى الغني القدير عبد .. غفر له) . وفي آخر الورقة كتب بداخل مربع [وصلى اللهُ على سيدنا محمد وآله] .

لم يسجل الناسخ تاريخ النسخ في نهاية مخطوطة « الكلم النوابغ » وإنما سجّله في آخر المخطوطة « أطواق الذهب » والتي تلي « الكلم النوابغ » في المجموعة ، قال : (تمت المقالات والحمد لله على جميع الحالات والصلوة والسلام على محمد موضح الدلالات . كان الفراغ من رقمها في شهر ذي القعدة الحرام عام خمس وسبعين وألف) .

تتألف المخطوطة من تسع أوراق ، في كل ورقة خمسة عشر قولاً ، انظر

(١) تقع ضمن مجموعة تبدأ بـ « الكلم النوابغ » والتي سميته خطأ بـ « النصائح الصغرى » ويليها « أطواق الذهب » للزمخشري أيضاً ويليها « أطباق الذهب في المواعظ والخطب » لهبة الله لا أحمد الشقروة ، سلك فيها مسلك الامام جار الله في مقالاته « أطواق الذهب » وبعدها « الدرة اليتيمة » لعبد الله بن المقفع ، وأخيراً كتاب « الفرائد والقلائد » لأبي منصور عبد الملك ابن محمد بن محمد بن اسماعيل الثعالبي .

الورقة الاولى والثانية على صفحتي (٨ و ٩) من هذا الكتاب .

٢ - نسخة المتحف العراقي : المحفوظة تحت رقم (٥٦٣) ، رمزت لها بالحرف (ق) . كتب على الورقة الأولى منها العنوان التالي ، (كتاب نوابغ الكلم في الآداب، وتسمى النصائح الصغار لجار الله العلامة صاحب الكشاف). وكتب بجانبه : (ما في هذه الجلة الشريفة نوابغ الكلم للزمخشري « أطوق الذهب » أيضاً) . تتألف من اثنتي عشرة ورقة ، في كل ورقة ثلاثة عشر سطراً ، تتراوح كلمات كل سطر بين ثمان إلى أربع عشرة كلمة . الخط واضح جداً ومشكول .

٣ - نسخة جامع النبي شيت في الموصل : اعتمدت على صورتهـــا « المايكروفلم » المحفوظ في المكتبة المركزية ببغداد تحت رقم (١٦) رمزت لها بالحرف (ش) . تضم هذه النسخة « الكلم النوابغ » مع « السوابغ في شرح النوابغ » لسعد الدين التفتازاني وهي من كتب المرحوم محمد علي أفندي ابن الخليفة . يوجد ختم على الصفحة الأولى استطعت قراءة بعض منه (مظهر نور ابن عبد الله بن محمد ..) تتالف من خمس وثمانين ورقة ، في كل ورقة ثلاثة عشر سطراً ، الخط حسن وواضح .

٤ - طبعة باريس : أشرت لها بالحرف (س) ، ولقد اعتمدت عليها في التحقيق إذ فيها بعض الاختلافات . حقق الكتاب وترجمـــه إلى الفرنسية المستشرق الفرنسي: « C. Barbier de Meynard » في مجلة «Journal Asiatique» بعنوان « Les pensées de Zamakhschari » في سنة ١٨٧٥ . يضم الكتاب (٢٨٥) قولاً . اعتمد في تحقيقه للكتاب على نسختين خطيتين محفوظتين في المكتبة القومية بباريس ، وعلى نسخة مصورة لنسخة محفوظة في استانبول ، كما اعتمد على طبعها المستشرق الهولندي[1] «Henricus Albertus schultens» كما يذكر هو في مقدمته .

---

(١) في سنة ١٧٧٢ ، نشر المستشرق كتاب « الكلم النوابغ » بعنوان : « Anthologia Sententiarum Arabicarum » ويتألف الكتاب من مائتي قول مع شرح محمد بن دهقان بن علي النسفي ، اعتمد المحقق على نسخ ثلاث . يبدأ الكتاب بعد مقدمة الزمخشري بالقول : « المرءُ يقدم ثم يحجم ، والنوءُ يثجم ثم ينجم » ، وينتهي بالقول : «أصحاب الأطمار، يدرون سحائب الأمطار» .والأقوال مع الشرح ترجمه الى اللاتينية في الهامش.

يبدأ الكتاب بعد مقدمة طويلة للمحقق ، ثم مقدمة الزمخشري ؛ أما متن الكتاب فيبدأ بالقول : « آنث من النِّسوة ، من اتَّخَذَ النِّسوة أسوة »

وينتهي الكتاب بالقول : « ويد البخيل لا تبض حتى تسلق بالمقول، ولا يستخرج ما في الجبل الا الضرب بالمعول »

٥ – طبعة بيروت : رمزت لها بالحرف (ب) لأنها أوفر النسخ نصاً وتنفرد ببعض الاختلافات . طبع الكتاب محمد الكستي البيروتي بالمطبعة اللبنانية سنة ١٣٠٦ هـ ، طبعة تجارية معتمداً على نسخة واحدة لم يشر فيها إلى مكانها ولا إلى تاريخ نسخها . يبدأ الكتاب بعد مقدمة الزمخشري بالقول: « السُّنة منهاجي ، ومنها أجي » . وينتهي بالقول : « الدنيا مملوءة عبراً، مشحونة غيراً » .

وبعد ! فللقارىء الكريم أن يعلم بأنني جعلتُ وكدي هنا أن أنشر نص « الكلم النوابغ » دون شرحها نشراً محققاً بالطريقة العلمية ، وعلى ما تقتضيه أساليب النشر الحديث بما وسعني من جهـــد ، ولقد أرجأتُ نشر شرحها لسعد الدين التفتازاني الوافي بالغرض إلى فرصة أخرى إن شاء الله .

وبعد ! فلا يسعنى أن أختم هذه الكلمة دون أن أقول : بانه ينبغي لكل ذي عقلٍ وبصيرة أن يقرأ هذا الكتيب ، بالرغم من صغر حجمه ، فإننا عند قراءته نعيش في عالمٍ واسع رحبٍ ، مترامي الاطراف كله خير وبركة. كما يفتح أمامنا عوالم وآفاقاً فسيحة حلوة فيها الدفء والتفاؤل .

وبمعنى آخر ، يرسمُ لنا الزمخشري في كتابه هذه عوالم مجتمع إنساني راق تتمناهُ كل نفسٍ خيرة وتسعى لإيجاده ، والله ولي التوفيق .

(للبحث صلة)

الدكتورة بهجة الحسني

الأستاذة المساعدة في كلية الآداب – جامعة بغداد

مع المجاز بين اليمامة والحجاز

- ١٠ -

أفقرَى : قال الأستاذ الخميس : وإذا كنا بمحاذاة (أبي دخن) أو قبله تنبسط الأرض يميناً ، ونرى على بعد أكيمات وحذونا متطامنة عندها هجرة برجس المريبض وجماعته من الروسان – من برقا – عتيبة ، واسمها (أفقرى) –بفتح الهمزة وإسكان الفاء وكسر القاف وفتح الراء بعدها ألف مقصورة– وهذه لم تبعث إلا منذ زمن قريب . وشماليها بينها وبين جبلة أكيمة صغيرة تسمى (ضليع العجمان) . ا هـ

والواقع أن هجرة برجس المريبض وجماعته في أفقرى حديثة ، ولكن (أفقرى) ليست حديثة ، فـ (أفقرى) ماء قديم معروف ، وقد عرفته ومررت بناحيته قبل أن يستقر فيه المريبض وجماعته . وقد ورد له ذكر في الشعر الشعبي ، قال بعض الشعراء :

مرباعهم بأفقرى يا عبيد ... وأين غسل هو مداهيله
يا والله اللي علي بعيد ... ما جا وأنا كيف أبا جي له

وتحف بهذا الماء من ناحيته الغربية جبيلات سود تسمى (ضليمات أفقرى) وتمتد هذه الجبيلات من الجنوب إلى الشمال بشكل تدريجي في الانخفاض ، وفي طرفها الجنوبي تبرز هضبة سوداء ترى من مسافة بعيدة ، وبمحاذاة هذه الجبيلات من الشرق يمر وادي أفقرى ، واد كبير في أعلاه عُسر ورمث مزدحم ، وفي معتلجه حيث تلتقى روافد شرقاً من الجبيلات يقع ماء (أفقرى) القديم حيث يتسع الوادي ويزدحم بالرمث وأنواع الحمض ، وتظهر فيه غابة من الطرفاء ، ثم يدفع صوب الشمال الشرقي ويفيض في وادي الرشا (التسرير) قديماً تاركاً هجرة الحلاج (الرشاوية) يساراً منه .

أما (أفقرى) هجرة المريبض وجماعته فإنها تقع في صحراء مستوية على

ضفة وادي أفقرى الشرقية شرقاً من ماء (أفقرى) القديم قريبة منه، وتربتها صالحة للزراعة وماؤها وفير ، فيها مدرسة ابتدائية للبنين ، مستوصف ، ومضاءة بالكهرباء ، وتبعد عن الطريق المعبد شمالاً (٢٧) كيلا ، ولم أعثر لها على ذكر في كتب المعاجم القديمة بهذا الاسم ، وقد وصف الأستاذ الخميس جبيلات أفقرى بأنها أكيمات وأن ما حولها حزون متطامنة ، والواقع أنها لم تكن متطامنة ، إذ لو كانت متطامنة لما شوهدت من مسافة بعيدة ، فهي جبال سود غير كبيرة ولكنها واقعة في صحراء عبلة وادي الرشا ، فالصحراء المحيطة بها تشكلها عبلة مرتفعة ، إذن يكون في قوله : (حزون متطامنة) تناقض ، وذلك أن وصف كل موضع يعتبر بالنسبة لما حوله من الصحاري والأعلام .

الحزن والعبلة لغة : سأتحدث عنها باعتبار ما تعارف عليه الناس في هذا العهد، ثم أتلو ذلك بإيضاح العلاقة بين التعبير المعروف في هذا العهد، وبين ما ورد في كتب اللغة مما نقل عن العرب المتقدمين .

الحزن : الواقع أن كلمة حزن لا تكاد تسمعها في هذا العهد كوصف لنوع من الصحاري ، ولكن التعبير الشائع في لغة البدو والحضر في هذا العهد، هو اللفظ المرادف لها عند العرب، وهو كلمة (حزم) ويجمع على (حزوم) كما هو في لغة العرب المتقدمين ، وهو وصف للصحراء الغليظة المرتفعة التي تغطيها الأحجار ، سواء كانت سوداء أو حمراء ، وقد ورد ذكر هذا النوع من الصحاري في الشعر الشعبي، وأكثروا من ذكرها ووصفها، قال مخلد القثامي :

يا تلّ قلبي تل ركب ليا ذل وليا عطوا مع راس حزم قراوي (١)
حـاديته المظْماة والخيل تشماه قافيه بدو ودارعين بشواوي (٢)
لـدُّوا بهن يسار من عمس الأبصار باح اليقين ويبسَّنّ الشـفاوي (٣)

(١) ليا : إذا عطوا . أي سلكوا ، حزم : صحراء غليظة ، قراوي . مرتفع .
(٢) تشماه : تطارده ، بدو : هم رعاة الابل ، دارعين : مختلطين ، شواوي: هم رعاة الغنم.
(٣) باح : نفد .

لَدُّوا بْهِنّ يمين مثل السراحين وبدت عليهم حزبة مع نزاوي [1]

وقال جهز بن شرار :

الخيل نركبهـــا الحزوم الحفية راحن بفرسان لْحايل مطيمين [2]

الحزوم في بيت جهز جمع حزم . وغالبـاً تكون أرض الحزم خشنة يتأذي الماشي بالوطىء فيها وتسبب له الحفا في قدميه . وكذلك فهي تحفي أخفاف الإبل وحوافر الخيل .

وقال في «التاج» [3] الحزن – بالفتح – ما غلظ من الأرض كما في «الصحاح» ، وقال أبو عمرو : الحزن والحزم الغليظ من الأرض ، وقال غيره : الحزم ما احتزم من السيل من نجوات المتون ، والحزن ما غلظ من الأرض في ارتفاع ، والجمع حزوم وحزون ، وقال ابن شميل : أول حزون الأرض قفافها وجبالها ورضمها وقال في موضع آخر : الحيزوم الغليظ من الأرض ، وسمى الأخطل الحزم من الأرض حيزوماً وهو المرتفع فقال :

فظل بحيزوم يفل نسوره ويوجعها صوانه وأعابله

وقال لبيد :

فكأن ظعن الحي لما أشرفت في الآل وارتفعت بهن حزوم

وباستقراء ما ذكره صاحب «التاج» في تعريف الحزم والحزن ، وما أورده من الشواهد ومقارنته بما ذكرته من وصف الحزم في لغة أهل نجد في هذا العهد وما ذكرته من الشواهد من الشعر الشعبي ، يتبين أنه لا اختلاف بين المتقدمين العرب والمتأخرين في ذلك ، وكلهم وصفوا الحزم بأن الأرض الغليظة المرتفعة وليس الأرض المتطامنة كما وصفه الأستاذ الخميس .

العبْلة : يطلق عامة أهل نجد هذا التعبير على الصحراء المرتفعة التي تعلوها حجارة بيضاء (مرو) وغالباً تكون صغيرة وملساء ، وهذا النوع من الصحاري موجود في عالية نجد على مساحات شاسعة ، أما في شرق الجزيرة

---

(١) بدت : ظهرت ، حزْبة : جماعات شديدة ، نزاوي : مرتفعات .

(٢) الحزوم : جمع حزم ، الحفية : الغليظة التي تحفي حوافرها ، أي حوافر الخيل .

(٣) « تاج العروس » ، ج ٩ ص ١٧٤ .

فإن وجوده نادر ، وقد ورد له ذكر في الشعر الشعبيقال حنيظل البرازي :

إن وايق السبّار في رأس منقوح وقال اقبلت وانتم عليكم خطرها [١]
قال اقبلت مع رأس عبلا كما الدوح جتكم تناحي للخطر من جيرها [٢]

وقال آخر :

العارض المنقاد من دون خلتّي والعرقعرق سْبيع واطول هجراه
وكم دونهم من نايف مستقل ومن عبلة تزمي والأخرى دموماه [٣]

وقال الشيخ محمد بن بليهد[٤] :

المزن في العبلْ تدفق عزاليه عسى حلال الناس ينجم ويرعاه [٥]
وغيث الأوادم يا مدور حراويه في جانب البره خيـامه مَبنـّاه

العبل : هو الجبل الأبيض الذي يكون بياضه شبيهاً ببياض العبلة ، وهذا النوع من الجبال منتشر في عالية نجد ، ومع أنه يعرف في مواضع كثيرة ، فانه لا توجد من نوعه تكوينات على شكل سلاسل جبلية أو هضاب واسعة ذات أودية وشعاب ، وإنما يوجد على شكل قمة منفردة بيضاء ، وكما أنها لا تكون ذات قمم متعددة فهي كذلك لا تكون شاهقة في الإرتفاع ، ومن أشهر هذه الجبال (عبل معيقل) الواقع في ناحية سلسلة جبال (مُعيقل) من الشمال ، جنوباً من بلدة الشعراء ٢٠ كيلا تقريباً ، وهو قرن أبيض ، شديد البياض ، صخوره من نوع المرو الخالص ، ويعرف سابقاً بـ (عبل الرياشي) ومن ناحيته يأتي أحد الروافد الرئيسية لوادي الشعراء ويسمّى (شعيب الرّياشية) في هذا العهد ، وهذا العبل من المزارات التي يرتادها البدو في فترة جهلهم للتبرك بها وإهداء القرابين لها ، وقد ذكر ذلك جدي بن فهد الصميت في رسالةبعث بها إلى الشيخ عبد الله أبي بطين [٦] ، ولا تزال آثار الطرقات التيتدور حوله

---

(١) وايق : أطلّ ، السبارة الرقيب ، منقوح : قمة عالية .
(٢) عبلا : عبلة ، الدوح : الشجر الكبار ، واحدة دوحة ، تناحي : تذود يميناً وشمالاً .
(٣) نايف : عالي ، مستقل : مرتفع ، تزمي : تسمو ، دموماه . مستوية الظهر مرتقعة .
(٤) « ابتسامات الأيام » ص ٢٨٥ .
(٥) ينجم : يعبس ، ويخرج من أزمة الجدب .
(٦) « مجموعة الرسائل والمسائل النجدية » ج ٢ مطبعة المنار ، ص ٢٢٧ .

واضحة في عروضه ، ولهذا العبل قمة لا تكاد تصل إليها إلا بمشقة ، ولم أطلع له على ذكر بهذا الاسم في كتب الجغرافيا القديمة .[1]

وهناك عبل آخر غير بعيد من عبل معيقل واقع فيما بين (الحذنّي) و(بجيرات) يسمى (عبيل رحّال) تصغير عبل ، وهو الذي ذكره شاعر من أهالي الدوادمي في قوله :

يا خل ياللي زمى رحّال من دونه   بين الرفايع وفرحه والسبيحيّه

وهناك أيضاً عبل من هذا النوع غرب من سمرة ، وقد ذكره بعض شعراء أهل الدوادمي في قوله :

مشيي بشمبان العبل في يدي فاس   أحب عندي من مقابل جباها

ومن الجبال المشهورة من هذا النوع العبل الواقع في أعلا وادي الحيد ، في ناحية الجمس الشمالية ، وقد أسّست في جانبه هجرة حديثة لآل محيا الحناتيش من قبيلة الروقة – من عتيبة – وسميت (العبل) باسم هذا الجبل الأبيض المجاور لها ، وهذا النوع من الجبال كثير جداً .

أما ذكره أصحاب المعاجم اللغوية : قال في التاج [2] : العبل الضخم من كل شيء ، وهي بهاء جمع عبال كحبال وضخام ، وجمع عبلة عبلات لأنه نعت ، وقد عبل ككرم ، وكذا عبل مثل نصر ، أي ضخم ، فهو أعبل ، وعبل كفرح عبلا فهو أعبل ككتف وأعبل ، أي غليظ أبيض ، والعبلاء الصخرة من غير أن تخص بصفة ، أو البيضاء منها كما في «الصحاح» ، وهكذا قيده ثعلب وغيره الصلبة ، وجمعها عبال ، كبطحاء وبطاح ، وقال أبو عمرو : العبلاء معدن الصفر ببلاد قيس ، والأعبل الجبل الأبيض الحجارة ، ومنه قول أبي كبير الهذلي :

صديان أجدى الطرف في ملمومة   لون السحاب بها كلون الأعبل

ووقع في «الصحاح» : الأعبل حجارة بيض ، وصوابه الأعبل حجر أبيض ، لأن أفعل من صفة الواحد المذكر . اه

---

(١) في كتاب « في سراة غامد وزهران » إشارة موجزة عن (ذي الخلصة) قد يكون فيها ما يلمح إلى تعليل مثل هذه الخرافة .

(٢) تاج العروس ، ج ٨ ص ٣ – ٤ .

وبهذا يتبين مدى الاتفاق بين عرب الجزيرة المتقدمين والمتأخرين في التعبير عن المسميات والصفات، والواقع أن (ضليع العجمان) بالنسبة لهجرة برجس المريبض (أفقرى) يقع شمالاً شرقياً ، ويقع بالنسبة لهضبة (جبلة) جنوباً شرقياً ، فهو لا يقع بين (جبلة) و (أفقرى) ، وهو جبيل صغير ، تراه أول ما يبدو لك أسود ، وحين تصل إليه تجد أنه يميل إلى الحمرة ، وهو واقع في عبلة مرتفعة فيما بين وادي الرشا (التسرير) قديماً وبين (هضبة جبلة) قريباً من جبلة ، قـال الخميس : وإذا اقتحم نظرك (أفقرى) و (ضليع العجمان) وأنت بمحاذاة (أبي دخن) برزت لك هضبة (جبلة) متبرجة سامقة .

والواقع أن (أفقرى) هجرة المريبض لا ترى بالبصر من الطريق كما ذكر ، أما (ضليعات أفقرى) فإنها تبدو للسائر مع الطريق قبل أن يحاذي (أبا دخن) بمسافة بعيدة . أما (ضليع العجمان) فإنه لا يرى من الطريق لما يتحدّب دونه من الصحارى والمرتفعات ، ثم هو بعيد من أفقرى في جهة الشمال الشرقي ، أما هضبة (جبلة) فهي هضبة عظيمة عالية المناكب ترى من مسافات بعيدة ، أما العابر مع الطريق فانه يشاهدها قبل أن يكون بمحاذاة أبي دخن ، فحين ينكب هضاب البيضتين ويلتفت شمالاً يراها بارزة لا يساميها شيء مما في ناحيتها ، وتسير معه يراها كلما التفت شمالاً حتى يفضي به الطريق إلى سمار (حَمّة ذريـّع) ، وبعد أن يمر في سمار حمة ذريع يفقدها لأن السمار الممتد يحول بينه وبين رؤيتها .

والذي يفهم من حديث الخميس عن رؤية جبلة ، هو أنك لا تراها إلا بعد أن ترى (أفقرى) ، و (ضليع العجمان) وتقتحمها ببصرك لتطل على جبلة من ورائها ، وفي هذا بعد عن الواقع ، إذ أن تقييد رؤية جبلة برؤية (أفقرى) و (ضليع العجمان) لا يتفق مع الواقع الطبيعي ، وذلك لأن جبلة كما ذكرنا هضبة عظيمة عالية ، ترى من مسافات بعيدة لا ترى منها الأعـلام الواقعة بينها وبين الطريق ، لأنها كلها أعلام صغيرة كجبيلات أفقرى وضليع العجمان، وهضيبة الرشاوية ، وضليعات النبوان ، وضليعات نبيوين ، تصغير النبوان ،

وكلها على ضفاف وادي التسرير ، غير أن لا قيمة لها ولا نسبة إذا قورنت بهضبة (جبلة) .

أما رؤية هذه الأعلام الصغيرة التي ذكرناها ، الواقعة بين الطريق وبين جبلة ، فإن أولها من ناحية الشرق (ضليع العجمان) وهو عبارة عن جبل صغير قريب من جبلة في ناحيتها الجنوبية الشرقية ، لا يرى من الطريق ، ثم جبيلات أفقرى ،وهذه نشاهدها حينما ننكب هضاب البيضتين ونكون بمحاذاة أبي جراد ، وبعد أن يتقدم بنا الطريق غرباً ونكون بمحاذاة (فرائد أبي دخن) تبدو لنا جبيلات سود صغار ، شمالاً غربياً من جبيلات أفقرى تلك هي (ضليمات النبوان) وتقع من هجرة النبوان التي سأتحدث عنها قريباً في الناحية الشمالية الشرقية ، وبعد أن نكون بمحاذاة (أبي دخن) تبدو على يميننا جبيلات سود صغار وبرقة صغيرة تلك (جبيلات نبيوين) تصغير نبوان ، وعندها ماء (نبيوين) القديم . أما هضيبة الرشاوية فيأتي الحديث عنها مع ذكر هجرة (الرشاوية) قريباً .

ومن الملاحظ ان الخميس تحدث عن (أفقرى) وعن ضليع العجمان ، هذا الجبيل الذي لا يعدو أن يكون كومة احجار صغيرة في جانب جبلة ، وقرن ذكره بذكر (أفقرى) رغم ما بينه وبينها من الصحارى والأودية ، ورغم لجوئه حول جبلة ، ولم يتحدث عن ماء (النبوان) رغم انه ماء قديم وله ذكر في كتب المعاجم ، ولم يتحدث عن الهجر الواقعة بين الطريق وبين جبلة ـ في ضفاف وادي الرشا (التسرير) قديماً ، وهي اقرب إلى الطريق بكثير من (نفي) ووارادات التي تبعد عن طريقه مسافات شاسعة ، وبينها وبينه مرتفعات كبرى كهضبة جبلة وعبلة وادي الرشا وغيرها ، وكان الأولى أن يصل ذكر هجر وادي الرشا بذكر هجرة (أفقرى) لقرب بعضها من بعض، ومما يلاحظ أيضاً انه ذكر (هضيبة الرشاوية) عند ذكر (الشعيفية) ولم يتحدث عن (هجرة الرشاوية) فقال : ونشاهد دون (الشعيفية) بينها وبين الطريق يميل الى الشرق وغرباً من هجرة (أفقرى) هضيبة متطامنة تتوسط

سرة التسرير باعتبار ما كان ، وهذه الهضيبة تسمى (الرشاوية) نسبة إلى وادي الرشا ، وعندها ماءة تسمّى بهذا الاسم للحلاج وجماعته . اهـ .

والذي يبدو من الوصف الجغرافي والتحديد في هذه العبارة أن الخميس قد اعتمد على مخيلته ، لا على مشاهدته ببصره ولا على خبر من يعرف هذه الناحية معرفة صحيحة . وسأتحدث عن الرشاوية ، الماء القديم والهجرة المحدثة والهضيبة ، وأتلو ذلك بالحديث عن هجرة (الودي) و (النبوان)و (الحبة) و (الرفيعة) و (الفقارة) وأخيراً (المستجدة) وما يلحق لهذه الهجر من قصور زراعية وقرى صغيرة ، ثم أتلوه بالحديث عن جبلة والشعيفية .

الرّشاوية : ماء قديم سمي بهذا الاسم نسبة الى (وادي الرشا) التسرير قديماً ، وهو ماء مر ، يقع في ضفة الوادي اليمنى ، يحف به من ناحية الجنوب الشرقي أبرق يسمى (أبرق الرشاوية) واقع بين جبلة من الشمال وبين سلسلة ضليعات أفقرى من الجنوب ، وهو الماء الذي وقع فيه (مناخ الرشاوية) بين قبائل عتيبة من ناحية وقبائل حرب ومطير من ناحية أخرى . وقد وردت هذا الماء مرتين ، وهو معروف بهذا الاسم قبل أن يؤسس الحلاج هجرته عليه ، وقد أخطأ الخميس في تحديده حيث ذكر انه واقع فيما بين هضبة الشعيفية وبين الطريق غرباً من هجرة أفقرى ، والواقع انه بالنسبة لهجرة أفقرى وجبيلات أفقرى يقع في الشمال الغربي ، بل ان (أبرق الرشاوية) الآنف الذكر يقع في نهاية جبيلات أفقرى من الشمال ، أما بالنسبة لهضبة (الشعيفية) فإنها تقع في ناحية الشرق الجنوبي ، وتفصل بينهما صحارى واسعة ، فالرشاوية تقع فيما بين الطريق وبين جبلة، وليست بينه وبين الشعيفية كما ذكر ، وإذا كنت في الرشاوية رأيت قمة الشعيفية أيمن مغرب الشمس .

هُضيبة الرشاوية : ذكر الخميس في وصفها وتحديدها أنها هضيبة متطامنة تتوسط سرة التسرير فيما بين الطريق وبين (الشعيفية) غربا من (أفقرى) والواقع ان هضيبة (الرشاوية) سميت بهذا الاسم نسبة إلى ماء (الرشاوية) الآنف الذكر ، وهي من حيث وصفها الطبيعي هضبة حمراء صغيرة ملتفة

حول بعضها ، لها قمة بارزة ، لا تشبه من حيث تكوينها الجيولوجي شيئاً من الجبيلات المجاورة لها في وادي الرشا ، فهي من نوع التكوين الطبيعي لهضبة (جبلة) ، وهي واقعة في ضفة وادي الرشا اليسرى فيما بينه وبين هضبة جبلة ، وهي بالنسبة لماء الرشاوية القديم وهجرة الرشاوية الجديدة واقعة في ناحية الشمال الشرقي بالنسبة للماء ، والشرق الشمالي بالنسبة للهجرة لا تبعد عن أي منهما مسافة أكثر من كيلين .

هجرة الحلاج : قال الخميس عند ذكر هضيبة الرشاوية ، وعندها ـ أي الهضيبة ـ ماءة تسمى بهذا الاسم للحلاج وجماعته . وقد بينت مدى خطئه في تحديد الهضيبة ، وذكرت موقع الهضيبة بالنسبة لهجرة الحلاج ، أما هجرة الحلاج وجماعته فإنها واقعة في ضفة الوادي اليسرى في ناحية الماء القديم وتسمى (الرشاوية) باسمه ، وبينها وبين أفقرى هجرة المريبض (١٣) كيلاً تقريباً في اتجاه جنوبي شرقي ، وبينها وبين النبوان (٥) أكيال تقريباً ، في اتجاه غربي جنوبي .

يوم الرشاوية . يعرف عند عامة أهل نجد (بمناخ الرشاوية) ، قال الخميس : وعند هذا الماء ، كان يوم من أيام العرب في هذا القرن بين عتيبة وحرب ، ومع حرب مطير عام ١٣٢٧ هـ ، وبعد معركة شق فيها بيت ابن هندي شيخ عتيبة ، وقتل في هذه المعركة من عتيبة ابن جهجاه بن حميد وعالي الفِجْري وكلاهما من قبيلة المقطة ، ومن قبيلة مطير أبو عبيد الدويش وطلال ابن هدبا وانتهت المعركة بذلك . اهـ .

والواقع أن هذه العبارة هي عبارة الشيخ محمد بن بليهد في كتابه «صحيح الأخبار» [١] ، نقلها الخميس مع تغيير لطيف في أسلوبها ، غير انه لم يغير في ترتيبها ، وكان من الأولى أن يشير الخميس إلى مصادر بحثه ، سواء نقل ما نقله نصاً أو صاغه بأسلوبه الخاص . أما فيما يخص المعركة التي شق فيها بيت ابن

---

(١) صحيح الأخبار ، ج ١ ص ١٤٦ .

هندي ومناخ الرشاوية ، فالواقع ان اليوم الذي شق فيه بيت ابن هندي وقع في ربيع عام ١٣٢٧ هـ ، وكان في ناحية وادي (الهييشة) وكان بـين حرب وعتيبة ، ولم تشترك فيه مطير مع حرب ضد عتيبة ، أما مناخ الرشاوية فقد وقع في ربيع ١٣٢٨ هـ ، وهو الذي اشتركت فيه قبائل مطير مع حرب ضد عتيبة ، وتفاصيل هذين اليومين لا يتسع لها هذا البحث .

الودي : تصغير الوادي ، هجرة للتهان ذوي غايب وجماعتهم ، إذا صعدت من هجرة الرشاوية مغرباً مع مجرى وادي الرشا ، تمر أولاً (مشاش البواردية) في جانب جبيلات سود في بطن الوادي ، وقد اقيم عليه قصر زراعي لعبدالله بن خالد الحلاج ، وإذا تجاوزتها مررت بهجرة الودي على ضفة الوادي الشمالية ، في فيضة ودي الركبان في وادي الرشا واذا تجاوزتها مررت بهجرة (الفقارة) لسعيدان بن مشعل المخمور وجماعته ، وبعد أن تتجاوزها مع مجرى الوادي تمر بهجرة (النبوان) وتقع على ماء النبوان القديم ، فيها مدرسة ابتدائية ، وتقام فيها صلاة الجمعة وينقل لها طلبة القرى التي حولها ، أميرها ماضي بن نمر ابن عميرة ، وغرباً منها تقع هجرة الخبة ، وهي خبة في وسط نفود النبوان ، أما هجرة (الرفيعة) فإنها تقع غرباً شمالياً من النبوان ، في منقطع نفود النبوان الغربي الشمالي ، لمفرس ابن بداي بن باين وجماعته ، وفي ناحيتها تقع مزارع لأهل النبوان تسمى (مطربة) ، فإذا سرت من هجرة النبوان مع مجرى الوادي في اتجاه جنوبي غربي أتيت على ماء (نبيوين) تصغير نبوان ، أما هجرة (المستجدة) فإنها تقع في ناحية فيضة جهم في وادي الرشا .

الدوادمي سعد بن عبد الله بن جنيدل

العرب

نكتفي بنشر هذه الحلقة ، إذ كتاب « المجاز » طبع كاملا ، ومن الممكن للاستاذ سعد ولغيره من القراء إبداء ملاحظاتهم على الكتاب المطبوع ، لا على الفصول التي نشرت في « العرب » .

بلاد العرب

في مذكرات سليمان شفيق كمال باشـــا

-١-

صاحب المذكرات :

صاحب هذه المذكرات من كبار رجال الدولة العثمانية وكان وزير حربيتها في آخر عهدها ، وقد تولى أعمالاً مهمة في البلاد العربية ، مذكورة في مقدمة هذه المذكرات التي تدل على أنه كان بعيد النظر في مستقبل العرب ، وكثير الاخلاص لهم ، وقوي الصلة بأمير نجد في ذلك العهد ، الملك المغفور له عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، وقد توقع بأن أفعاله وحركاته تتم عن بداية انقلاب مهم سيحدث في الجزيرة ، وهكذا كان . ولا نعرف عن حياة صاحب هذه المذكرات أكثر من انه اتصل بالملك عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ بعد استيلائه على الحجاز ، وأنه أسند إليه بعض الأعمال في الحكومة الجديدة ، ويظهر أنه فضل الإقامة في مصر حيث حدثني أستاذنا أبو الغيث الزركلي بأن قليني باشا أحد أثرياء مصر في ذلك العهد ، تزوج ابنة صاحب المذكرات وكانت بارعة الجمال.

وسمعت من الدكتور رمزي ـ مدير الصحة في ينبع سنة ١٣٥٤ ـ أنه أصيب بداء الجذام ، فكان يجري تجارب على القردة لبعض الأدوية ، وانه عالج نفسه فاستفاد بذلك .

وقال لي أستاذنا أبو الحسن علي الطاهر صاحب « الشورى » أنه شارك في حرب الحبشة ضد الطليان هو وطارق الافريقي القائد المعروف .

المذكرات :

كانت جريدة « الأهرام » نشرت يوم الأربعاء ٨ ربيع الثاني ١٣٤٣ (٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥ م) ما هذا نصه :

نشرت اللطائف المصورة في الصفحة الرابعة من عددها الاخير صورة قالت انها صورة السلطان ابن السعود مع أركان حربه ، وقد تبينت وجوه

الرجال المرسومين في تلك الصورة فاذا الحقيقة غير ما قالته الجريدة ، فالرجل الذي قالت عنه انه ابن السعود هو دولة شفيق كالي باشا وزير الحربية العثمانية سابقاً وكان في ذلك الوقت - حين أخذت الصورة - والي البصرة وقائداً للفيلق العثماني المعسكر فيها ، أما الرجال المصورون معه فليس بينهم واحد يمت الى ابن السعود بصلة أو بنسب ، بل جميعهم من أمراء شمّر ، واليكم أسماءهم : سعود بن عبد العزيز الرشيد أمير جبل شمّر وعجمي باشا السعدون الزعيم البدوي العراقي المشهور الذي كان له شأن كبير في حروب الانكليز في العراق ، وحمد السعدون ، وناصر سبهان ، وسعود سبهان من زعماء البادية وأما الآخرون فهم أركان حرب سليمان شفيق باشا وياورانه ، وقد تزيوا بزي أهل البادية .

وعلى ذكر الصورة نقول : إنها أخذت لما كان دولة سليمان باشا يفاوض باسم الدولة العثمانية الأمير (الآن السلطان) ابن السعود وانتهت هذه المفاوضة بفضل ذلك القائد التركي الكبير بتأييد نفوذ الدولة في نجد ، وحفظ امارة شمر لآل الرشيد . (عربي)

وعلقت الأهرام: ان في نشر مذكرات حضرة صاحب الدولة سليمان شفيق باشا عن نجد والحجاز وسائر البلاد العربية فائدة كبيرة في هذه الأيام التي أصبح فيها مستقبل تلك البلاد موضوع أحاديث الناس ، فنرجو أن لا يضن بها على القراء .

ولقد استجاب لدعوة الأهرام، فكان يبعث بمذكراته باللغة التركية، وقد أخبرني الأستاذ السيد محب الدين الخطيب أنه هو الذي كان يقوم بتعريبها ، وقد نشرت الحلقة الأولى منها في العدد ١٤٥١٩ في يوم الخميس ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ (٦ نوفمبر سنة ١٩٢٤) ، وبلغ عدد ما نشر من الحلقات ٣٦ ، نشرت آخر حلقة بتاريخ ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٣ (٢٣ يناير سنة ١٩٢٥) في العدد الـ ١٤٥٧٦ . ولا أدري هل نشر غير هذا غير أنني تصفحت جريدة الأهرام من آخر يناير الى نهاية ابريل سنة ١٩٢٥ فلم أرَ فيها شيئاً ، كما لم أرَ شيئاً من الخرائط أو الوثائق التي وعد بنشرها . وكنت رأيت في مكتبة صاحب الفضيلة الشيخ محمد حسين نصيف دفتراً كبيراً يحوي تلك

المذكرات ، ومنذ سنتين طلبت من فضيلته اطلاعي عليه فأخبرني بأنه فقده، وإن كان يذكر انه نقله له الشيخ محمد ماجد الكردي ـ أحـد سراة مكة وعلمائها ـ نقله بخطه من جريدة الأهرام .

ولما حدثت أستاذنا خير الدين الزركلي عن هذه المذكرات وعن رغبتي في نشرها في « العرب » أخبرني بأنه كان قد جمعها جذاذات من الأهرام ، ثم أفضل عليّ وعلى قرّاء العرب بتقديمها وها هي :

اقترحت « الأهرام » أمس على دولة سليمان شفيق باشا ـ بمناسبة انتشار صورة له أيام كان والياً على البصرة ، ومباشراً مفاوضة ابن سعود باسم الدولة العثمانية ـ أن لا يضن بنشر مذكراته عن الحوادث التي شهدها في بـلاد العرب ، والوقائع السياسية والعسكرية التي باشرها بنفسه في تلك الأقطار . وسرعان ما لبّى دولته اقتراح الأهرام ، واعداً بموافاة قرائه بسلسلة فصول ممتعة بكل ما يستطيع نشره في هذا الباب . وبادر دولته في الحال إلى كتابة الحلقة الأولى من سلسلة تلك الفصول باللغة التركية .

ودولة سليمان شفيق باشا من رجال الدولة العثمانية وكبار قواد جيوشها . وقد تولى المناصب العليا في سوريا والعراق وعسير واليمن وأقطار عربية أخرى ، وتولى في العهد الأخير وزارة الحربية في سلطنة آل عثمان .

وإلى القراء المقـال الأول الذي تفضل بكتابته ، وهو معرب في قـلم تحرير الأهرام :

إلى حضرة صاحب الأهرام المحترم ،

قرأت اليوم في العدد ١٤٥١٨ من « الأهرام » اقتراحكم عليّ أن أكتب مـا لدي من المعلومات عن جزيرة العرب تنويراً للرأي العـام في الظروف الحاضرة . وفي الواقع انه قد سبق لي تقلد مناصب مهمة في بلاد العرب ، ولا سيا في اليمن وعسير وسوريا والعـراق ، فشهدت حوادث على غـاية من الخطورة ، وكان ذلك داعياً لي إلى اعمال الفكر بشأن تلك الديار .

فمن ذلك انني كنت في قيادة عسير من سنة ١٩٠٨ إلى أواسط سنة ١٩١٢ فشهدت بنفسي وقائع الادريسي بأكملها من أولها إلى آخرهـا ، ثم كنت في قيادة سوريا في الدور الأخير من حرب البلقان فاطلعت على وقائع سوريا

وعلى الرأي العام فيها . ثم توليت ولاية البصرة وقيادتها سنة ١٩١٣ وباشرت مفاوضة السلطـان عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود باسم الحكومة العثمانية للتوفيق بين الفريقين ، ووقعت على الاتفاقية بصفتي المفوض الأول عن الدولة العليـة ومن ذلك الحين وجهت الدولة إلى السلطان ابن سعود رتبة الوزارة السامية بفرمان سلطاني عال وولاية نجـــد وقيادتها وإمارتها على أن تنتقل بالإرث إلى أولاده ، وهي الخطوة الأولى لطريقة الحكم اللامركزي التي كان يجب أن تقرر في بلاد العرب ، وان المفاوضات والرسائل التي دارت في هذا الشأن محفوظة كلها عندي وسأعرضها فيما بعد على أنظار القراء .

وقبل هذا التاريخ بثمانية عشر شهراً كانت الاتفاقية التي عقدت بين الدولة وبين الإمام يحيى في اليمن علامة خير باهرة تدل على مـا للدولة من خطوة منوية بشأن بلاد العرب في المستقبل .

ولو أن الدولة العثمانية لم تدخل في الحرب العظمى ، واحتفظت بحيادها فقد كان في نية حكومتها وضع نظام خاص لطريقة الحكم في العراق وسوريا.

إن المعلومات التي رغبت إلى جريدة « الأهرام » في أن أنشرها عن بلاد العرب ذات فصول وتفرعات واسعة ، ويمكن تقسيمها إلى معلومات عامة ، ومعلومات خاصة ، ومعلومات علمية ، وذلك بحث طويل شامل اجتزيء منه الآن بالمواد الآتية على سبيل الإجمال :

إن المعلومات العامة والمعلومات الخاصة عن بلاد العرب – ولا سيما عن جزيرة العرب – ناقصة جداً . وان الاخصائيين لم يكتبوا عنها كتابات شافية تلم بالبحث من كل أطرافه على وجه يكفل الفائدة للجميع. وقد كان ولا يزال في خزائن الأوراق الرسمية سواء في تركيا ومصر مستندات ومعلومات مفيدة جداً غير انها لم تجمع ويالالأسف حتى الآن بشكل كتاب يعرض على أنظار الجمهور فيستفيد منه . ومع انه قد نشر حتى الآن بعض رسائل في الموضوع فإنها خاصة بمسائل معينة لا تفيد في تنوير أفكار الناس بشأن الجزيرة العربية وعلى ذلك فليس في الأيدي الآن كتب تشفي الغليل عن أحوال جزيرة العرب

الجغرافية والتاريخية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية وغيرها . ولذلك نرى صحف الترك والعرب والافرنج تنخدع كثيراً في الحكم على ما يحدث في تلك الأقطار ، وكل ما تنشره من آراء وأفكار عن بلاد العرب تنشره تحت تأثير الانخداع .

من أجل هذا أقول أن من الواجب أن أشفع مقالاتي هذه بخريطة للبلاد العربية صغيرة جامعة بقدر الإمكان تساعد القارىء على فهم ما أكتبه فيما بعد في هذا الموضوع .

والمعلومات التي سأقدمها للقارىء وإن لم تكن غاية في الكمال ، غير أنها على كل حال تستند إلى المشاهدات لا إلى المسموعات ، لذلك أنا مقتنع بأنها عارية عن الخطأ بقدر الإمكان ، وستكون مفيدة ، والنقائص التي قد تقع فيها يمكن أن تتلافى بما يكملها به العارفون ممن يطلع عليها ، فيتسع البحث ويصبح كاملاً . والآن سأعرض على القارىء زبدة آرائي التي أعتمد فيها على تجاربي ومشاهداتي . وسأبحث فيها بقدر الإمكان عن شئون الإمام يحيى والسيد الإدريسي وأمير مكة وسلطان نجد مبيناً أسباب الحوادث في تلك الربوع ـ وهي الأسباب التي ظلت حتى الآن وراء ستار الخفاء ـ ورجائي أن يكون في عملي هذا خدمة للتاريخ .

وأستأذنكم الآن في الشروع ، واثقاً من أن القراء يرون ذلك صادراً مني بحسن نية ، وسيرون أن المعلومات التي أعرضها عليهم مؤيدة كلها بالمستندات الرسمية والوقائع الثابتة :

إن التقسيم السياسي الحاضر في جزيرة العرب هو بوجه عام غير طبيعي ، ولأنه غير طبيعي أدى إلى ظهور الحوادث الحاضرة. فجزيرة العرب لم تدخل تحت سلطان أمير واحد لما فيها من اختلاف المذاهب واختلاف الرأي والتفاوت في مستوى الحضارة ، ولافتراق المصالح . ثم إن لكل واحد من زعماء العرب ميلاً خاصاً للانفراد بالإدارة والاستقلال بالحكم ، فلا يحتمل بوجه من الوجوه أن يطلق أيدي رجاله في العمل بحرية واستقلال ، إلا إذا حصل

كل منهم على استقلاله وحريته وكان مرتبطاً بمرجع أعلى . فما من أمير قام بدعوى القومية يستحق أن يقوم بأعباء الإدارة العظمى والخلافة ، لأن مقام الخلافة العظمى ملجأ لأكثر من ثلاثمائة مليون مسلم ، ومثل هذا المقام لا يبلغه رجل معلول بالأمراض الشخصية . أما لو وجد في الأمة العربية رجل سياسي رشيد يستطيع أن يجمع الأمة العربية حول غاية واحدة ويتولى من هذه الأمة مقام الهداية والإرشاد فيؤلف من البلاد العربية حكومة حلفية ، فإن اليوم الذي يظهر فيه للعرب ذلك الرجل سيكون بداية تاريخ جديد للحضارة العليا في جزيرة العرب .

إن الأفعال والحركات التي نشاهدها الآن من عبد العزيز بن سعود سلطان نجد تنم عن بداية انقلاب مهم سيحدث في جزيرة العرب ، وبرنامجه القائم باتفاقه مع الإمامة الزيدية في اليمن ، والإدارة التي يتصورها للحرمين الشريفين،كل ذلك من الأدلة المهمة الجديرة بإمعان النظر في الخطوات السديدة التي يخطوها السلطان ابن سعود .

ومما لا ريب فيه أن الخطة التي رسمتها الوهابية اليوم للسير عليها لا تشابه بوجه من الوجوه خطتها التي رسمتها في العصر الماضي .

إن في جزيرة العرب اليوم من الامارات : إمامة الزيدية في القسم الجبلي من اليمن ، والإمارة الإدريسية في أراضي الشافعية من تهامة اليمن وبعض تهامة عسير ، والسلطنة السعودية في جميع نجد وفيها اقليم عسير ، والحكومة الهاشمية التي انحصرت بين أسوار ثغر جدة . وثم إمارة آل الصباح في الكويت عند نهاية الخليج الفارسي وقبلها مشيخة حضرموت التي تحت الحماية الانكليزية يليها سلطنة عمان المستقلة التي يسكنها الإباضية وبين نجد وقحط(؟) من قبائل يام التابعين لإمامة المذهب الاسماعيلي .

وسأعرض أمام أنظار القراء فكرة عامة عن هذه الامارات والبلاد التي تبسط سلطانها عليها ، مبيناً ذلك بالخريطة التي وعدت بها ، أما الآن فأكتفي بعرض المعلومات الجغرافية الآتية بإيجاز :

إن سلسلة جبال طوروس تتشعب فروعها إلى أطنة [١] وحلب والشام فالعقبة ، ومن العقبة تأخذ في الارتفاع ممتدة إلى الطائف ، غير أن هذه السلسلة الجبلية ليس لها نجود فيما بين العقبة والطائف ، وإنما هي عبارة عن آكام ذات حزون وذات ذُرًى صخرية حادّة ، قد يبلغ ارتفاع بعضها ألفي متر وتسمى هذه الجبال بوجه عام باسم جبال السراة،فإذا بلغت الطائف تصبح هذه الجبال ذات نجود ، ومنها تتفرع نجود غامد وزهران في عسير ، ونجود اليمن وحضرموت ، وهذه السلسلة ترتفع هنا عن سطح البحر بين ألفين وثلاثة آلاف من الامتار، وتتسع عرضاً نحو مائتين إلى ثلاثمائة كيلومتر. وأقول باختصار : إن أرض تهامة – وهي الجانب الغربي من عسير واليمن – تشبه الاراضي المصرية في استوائها ، غير أنها شجرية ، والقسم الأعظم من جانبها الشرقي يسمى النفود ، وهي جزيرة طويلة من الصحارى الرملية التي لم تكتشف حقيقتها تماماً .

والنجود الصالحة للزراعة في عسير واليمن قد يبلغ ارتفاعها بين ثلاثمائةمتر وألفين وثلاثمائة متر ، وكلها منبتة ، وإقليمها معتدل بحيث لا تزيد درجة الحرارة بميزان سنتيغراد في زمن القيظ عن ثلاثين درجة في الظل ، والدرجة الستين بميزان الرطوبة (هيغرومتر) والامطار تهطل بانتظام،في مواسم معينة كما هي الحال في خط الاستواء

وسلسلة جبال السراة تمتد موازية للبحر الاحمر منذ العقبة ، فتتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي مقتربة من البحر في بعض المواضع ومبتعدة عنه في البعض الآخر وهذا القرب والبعد يتراوح بين خمسين كيلومتراً ومائة كيلومتر . والاراضي الممتدة بين سلسلة الجبال وبين البحر تسمى (تهامة) وهي تضاف إلى القطر الذي تكون فيه فتسمى تهامة الحجاز ، وتهامة عسير، وتهامة اليمن . أما تهامة الحجاز فأكثرها ذات أراض رملية ، واما تهامة عسير واليمن فأكثرها ذات أراض جبلية فيها بقاع منبتة بما تحمله السيول

(١) الإسم العربي الصحيح : أذنة .

من الظمي ، وأكثرهـــا شجرية خصبة إلى درجة أن المزرعة الواحدة تأتي بمحصولين اثنين من بذرة واحدة وتزرع في السنة الواحدة أربع مرات .

والقسم الجبلي من اليمن وعسير على غاية من اللطافة وملائم للصحة كل الملائمة ، حتى أن الأمراض المعدية والعفنة تشفي بالانتقال من تهامة إلى البلاد الجبلية لأن مكروباتها تموت في جو تلك الأرجاء . وليس في جزيرة العرب مرض مهم غير مرض الجدري ، وهذا تمكن مقاومته بالتطعيم .

والامطار التي تنهمر في مواسمها بشدة تنحدر من الجبال إلى تهامة فتكون سيولاً تسيل بها الوديان الضيقة ذات الاحجار الغرانيتية ثم تنصب في البحر الاحمر ، واهضام هذه الوديان مزينة في بعض الاماكن بغابات شجر يشبه الصنــوبر .

ولما كانت أراضي تهامة لم تنهك ولم تتعب كما هي الحال في مصر فإن ترابها ذو قوة عظيمة في الإنبات ، ويمكن ري تلك الاراضي بإقامة سدود في بعض منافذ الوديان فتصبح تلك البلاد العربية أشبه بالجنان . وان القطن والفلفل والباذنجان يبلغ طول سوقه هناك ارتفاع الاشجار وترتفع الذرة في حقولها أربعة أمتار وخمسة أمتار ويبلغ قطر قصبتها سبعة سنتيمترات أو ثمانية . ونجود عسير واليمن كلها تقريباً مأهولة بالسكان ، والقرى في عسير متقارب بعضها من بعض وتكثر في الوديان ، وأما في اليمن فتراها منفردة في رؤوس الجبال الحـــادة كأن القرية بيضة نسر موضوعة في ذروة الجبل على انفراد. ومنازل القرى كلها مبنية بالحجر ، وهي ذات ثلاث طبقات أو أربع طبقات ، وجدرانها مطلية من الداخل بالكلس والجص ، ومنظرها من بعيد منظر شعري على غاية من اللطافة ، وهذا الرقي العجيب في عمـارة منازل القرى في اليمن دليل على حضارة قديمة منقرضة وهذا أمر لا شبهة فيه قط .

وكل منزل في اليمن ذو برج حربي، قائم إلى جانبه. وفي عسير ترى لكل قرية جامعاً ومــدرسة ومخزن مؤونة لأهـل القرية كلهم وبروجاً حربية للدفـاع عن القرية والشعب كله مسلح وهو متمرن على الحرب والضرب ،

ومتصف بالقناعة ويأنف الحيل والدسائس وفيه رجولة وكرم في قرى الضيف.

وثروة البلاد عبارة عن أراضيها ومواشيها ، وأستطيع أن أقول ان الأراضي مقسمة على نسبة العائلات قسمة التساوي بقدر الإمكان . فلا ترى هنالك شيخاً أو زعيماً يملك ألوف الفدادين ، ولا ترى فقيراً معدماً لا يجد له ملجأ يأوي إليه ، وجميعهم أهل قناعة وسعي وجد .

وبعد فقد كتبت ما تقدم كمقدمة لما أردتم أن أكتبه . فإذا وقع ذلك من القراء الكرام موقع الرضا فان هـذا التشجيع يحملني على أن أتبع هذه المقدمة بمقالات في الموضوعات الآتية :

١ – ملاحظات عامة ، وجغرافية بلاد العرب .

٢ – مسألة نجـد والمفاوضات التي دارت بين الدولة العثمانية والسلطان عبد العزيز بن سعود وأسبابها ونتائجها الحاضرة والمتنظرة .

٣ – إمامة اليمن وحروب الدولة العثمانية في اليمن والاختلاف وأسبابه ونتائجـه .

٤ – تحريض السيد محمد الادريسي الأهالي في عسير على الثورة – الحرب هناك – وأسبابها ونتائجها والاصابع الداخلية والخارجية في هذه المسألة والمقصد والغاية .

٥ – الوقعة التي نشبت بـين الشريف حسين وابن سعود في الشرق (نجد) حملة عسير ، تأسيس حكومة الحجاز وكيفية تشكيل الحكومة الهاشمية ، الحالة الحاضرة والمستقبل .

٥ – صور فوتوغرافية للمستندات الرسمية المتعلقة بمسائل نجد وعسير والحجـاز .

(للبحث صلة)

معجم المطبوعات العربية
المملكة العربية السعودية
- ٣ -

رجاء : إن ما يبديه القارىء من الملاحظات وإكمال النقص وتصحيح الاخطاء يقابل من كاتب البحث ومن « العرب » بالقبول مقرونا بالشكر والتقدير

أحمد زيني دحلان (١) :

أحمد بن زيني دحلان ، ولد سنة ١٢٣٢ = ١٨١٧ بمكة ، ونشأ فيها ودرس وتولى التدريس والإفتاء وكان مفتي الشافعية فيها وشيخ الاسلام .

وفي أيامه أنشئت أول مطبعة في مكة وقد تولى إدارتها وطبع فيها بعض كتبه .

مات في المدينة سنة ١٣٠٤ = ١٨٨٦ (قبل الحكم السعودي في الحجاز).

وإذ تحدث عنه سركيس في معجم مطبوعاته اعتمد كتاب « تحفة الرحمن في مناقب السيد أحمد زيني دحلان» لأبي بكر بكري بن محمدشطا الدمياطي. .

١ – الأزهار الزينية في شرح متن الألفية (نحو) .

ط ١ ، مصر ، بولاق ١٢٩٤ ، ٢١١ ص .

ط ٢ ، القاهرة ، الميمنية ١٣١٩ بهامشها « البهجة المرضية شرح الألفية » للجلال السيوطي .

٢ – أسنى المطالب في نجاة أبي طالب . مصر ، ١٣٠٥ .

طهران ، المطبعة الاسلامية ١٣٨٢ (؟) .

---

(١) هذا من دعاة التخريف – كما تدل على ذلك كتبه – والكاتب يتحدث عنه من الناحية التاريخية (العرب) .

٣ ـ تاريخ الدول الإسلامية في الجداول المرضية .

طبع على الحجر في جداول ، كذا ذكر زيدان . وفي معجم المطبوعات لسركيس : تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية ، طبع حجر ، مط . أبي زيد ، ١٣٠٦ ، ٢٣١ ص . أما الزركلي في الأعلام فسماه : الجداول المرضية في تاريخ الدول الإسلامية ـ كأنه يختصر .

٤ ـ تقريب الأصول لتسهيل الأصول لمعرفة الرب والرسول (نصوص) رسالة ذكرها سركيس في معجمه .

٥ ـ تنبيه الغافلين مختصر منهاج العابدين (مواعظ) ، رسالة ذكرها سركيس .

٦ ـ خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام ط ١ ، القاهرة ، المطبعة الخيرية ، ١٣٠٥ ، ٣٣١ ص . (وبهامشه كتاب الإعلام بأعلام بيت الله لقطب الدين الحنفي النهروالي المتوفى سنة ٩٨٨) .

وينتهي الكتاب ـ فيما وصفه لي بعض الإخوان ـ إلى زمن الخديوي توفيق ، ويذكر زيدان انه انتهى إلى خلع الخديوي إسماعيل (سنة ١٢٩٦) .

ط ٢ ، على هامش كتاب لأحمد زيني دحلان اسمه « الفتوحات الاسلامية » ينظر أحمد السباعي في كتابه « تاريخ مكة » هامش ٢ : ١٨٢ (ط ٢ ؟) ويجعل سركيس في معجمه هذه الطبعة بمكة سنة ١٣١١ . ومما يذكر أن سركيس يتحدث عن الكتاب بعنوان طويل هو : « خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي ﷺ إلى وقتنا بالتمام » .

٧ ـ الدرر السنية في الرد على الوهابية .

القاهرة ، المطبعة البهية بالكحكيين ، ١٢٩٩ « جمعه . . . .
. . . . أحمد زيني دحلان » ـ تحدث في هذا الكتاب عن زيارة قبر النبي ﷺ و[قد ادّعَى] مشروعيتها بالكتاب والسنة

وإجماع الأمة . ٣٦ صفحة . يليها رسالة النصر في ذكر وقت صلاة العصر ، ١٠ صفحات . ووردت إشارة إلى أن هذه الرسالة قد طبعت في مكة .. كما طبع رسائل أخرى .

وقد أثارت مناظرات السيد أحمد زيني دحلان ورسائله مناقشات وأدت إلى مؤلفات في الرد عليه . ومن ذلك ما ألفه « محمد بشير السهسواني الهندي (الشيخ محمد بشير الفاروقي بن الحكيم محمد بدر الدين ، ولد في وسط القرن الثاني عشر للهجرة ، قضى طفولته في لكهنوء .. ودرس .. واستجاز الشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى النجدي نزيل مكة .. توفي سنة ١٣٢٦ (واسم كتابه : « صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان » - طبع للمرة الأولى طبعة - حجرية بالهند - في عصر المؤلف .

وطبع ثانية في القاهرة - مطبعة المنار سنة ١٣٥١ على نفقة جماعة من الحجازيين والنجديين . كتب مقدمتها المؤرخة ١٣٥١ رشيد رضا ، فقال : « .. تصدى للطعن في الشيخ محمد عبد الوهاب والرد عليه أفراد من أهل الأمصار المختلفة ، منهم رجل من أحد بيوت العلم في بغداد قد عهدناه يفتخر بأنه من دعاة التعطيل والإلحاد .

وكان أشهر هؤلاء الطاعنين مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد زيني دحلان المتوفى سنة ١٣٠٤ ، ألف رسالة .. أنشئت أول مطبعة في مكة المكرمة زمن هذا الرجل فطبع رسالته وغيرهـــا من مصنفاته فيها ، وكانت توزع بمساعدة أمراء مكة .. » وممن وقف على تصحيح كتاب « صيانة اللسان » في هذه الطبعة : محمد عبد الرزاق حمزة (ينظر) .

ومن مصادر الشيخ محمد بشير « منهاج التأسيس » و « مصباح الظلام » من آثار الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (ينظر) .

تقع طبعة المنار في ٥٧٦ صفحة .

٨ – رسالة في جواز التوسل .. بهامش مصباح الأنام وجلاء الظلام لعلوي ابن أحمد الحداد مط . الشرقية ، ١٣٢٥ .

٩ – رسالة في ذكر ما ورد في وعد الصلاة ووعيدها – طبعت في مجموع، القاهر ، الوهبية ، ١٢٩٢ .

١٠ – رسالة في الرد على الشيخ سليمان أفندي (وهو فقيه شافعي) ، مكة ، المطبعة الاميرية ، ١٣٠١ ، ١٢ ص .

١١ – رسالة في كيفية المناظر مع الشيعة والرد عليهم – طبع مع كتاب الحجج القطعية للسويدي البغدادي عبد الله .

١٢ – رسالة في معنى قوله تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله » سنة ١٢٩٨ .

١٣ – رسالة النصر في ذكر وقت صلاة العصر ، ١٠ صفحات – طبعت ملحقة بكتاب « الدرر السنية » (ينظر) ، القاهرة ، المطبعة البهية بالكحكيين ١٢٩٩ .

١٤ – السيرة النبوية . طبع في جزءين ، القاهرة ، المطبعة الوهبية ، ج ١ في ٣٠٦ + ٤ ص . ج ٢ في ٣٥٠ ص .

١٥ – شرح الآجرومية . القاهرة المطبعة الخيرية ، ١٣٣١ ، ٤–٢٦ ص.

١٦ – الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشد وأهل البيت الطاهرين . القاهرة،المطبعة الأشرفية، ١٣٠٠، ١٧٠ص. ورأيت إلى ط. القاهرة ١٣٠٢.

١٧ – الفتوحات الإسلامية بعد الفتوحات النبوية . طبع بمكة في جزءين سنة ١٣٠٣ ، « يتحدث عن الفتوحات الإسلامية منذ قتال أهل الردة .. ويذكر خبر سجاح وقتل مسيلمة الكذاب ، وفتح العراق ..

ويستمر في خبر الفتوحات ويذكر فتح فارس ويعقبه بالفتوحات التي حصلت في خلافة عــثمان ، وينتهي الجزء الأول بخروج التتار وتملكهم بغداد . ويبدأ الجزء الثاني بتملك جنكيزخان بخارى وينتهي بولاية السلطان عبدالحميد. ويعقبها بخاتمة ذكر فيها ما كان من النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من الاقتصاد وحسن السيرة ويذكر معهم عمر بن عبد العزيز » .

نقل لي هذا الوصف أحد الإخوان عن طبعة القاهرة ، الشرقية ١٣٢٢، ج ١ ، ٤٣٢ + ٨ ص . ج ٢ ، ٣٥٦ + ٤ ص . وقد رأينا للكتاب طبعة أخرى – قبل هـذه – لدى خبر كتاب « خلاصـة الكلام في أمراء البلد الحــرام » ، وقــد جعلها سركيس في مكة ســنــة ١٣١١ (؟) . ورأيت الجزء الأول من طبعة أخرى باسم : « الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية»، القاهرة، مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية ، سنة ١٤٥٤ ، ٧ – ٥٨٥ – ٥٩٦ ص ، أوله : بعث جيش أسامة بن زيد ، وآخره : ذكر سير صلاح الدين إلى القدس.. انتهى الجزء الأول ويليه الثاني .

١٨ – مجموع مشتمل على أربع رسائل :

١ – في الزجر عن ترك الصلاة

٢ – في فضل صلاة الجماعة مطلقا .

٣ – في الترغيب في جماعة العشاء والصبح .

٤ – في الترغيب في صلاة الجماعة من المأثور عن السلف الصالح .

د. ت ، د. ط ، ٣٢ ص (الناشر : المكتبة العلمية لأصحابها عبد الفتاح فدا وأولاده – مكة) .

من مراجعنا : الزركلي – الأعلام ، زيدان – تاريخ آداب اللغة العربية، سركيس – معجم المطبوعات ..

أحمد السباعي (يرد على : أحمد سباعي)

أحمد بن محمد السباعي ، ولد بمكة سنة ١٣٢٣ ، ونشأ في مدارسها في أول ما أنشأ الشريف حسين بن علي مدرسة في مكة ، ثم استظهر القرآن غيبا وانتقل إلى المدرسة « الراقية » . ودخل مدرسة الأقباط بالاسكندرية ،

ومكث بها عامين – كما يذكر عدد مجلة المنهل الخاص ، رجب ١٣٨٦ / نوفمبر ١٩٦٦ – وعاد إلى مكة والتحق بالمعارف معلما في المدرسة التحضيرية وعدة مدارس ابتدائية حتى كان مديراً لمدرسة دار الفائزين – وفي هذه الأثناء تعشق الأدب وحاول الكتابة ، وكان أول ما نشر في جريدة «صوت الحجاز» في أيام رئاسة تحرير السيد محمد حسن فقي (ينظر) . وأصدر في هذه السنوات كتاباً للمطالعة سماه « سلّم القراءة العربية » من ستة أجزاء قررت مديرية المعارف آنذاك تدريسه في مدارسها – وكان أول مؤلف مدرسي في البلاد .

ثم اشتغل محرراً في « صوت الحجاز » يوم كان يصدرها الشيخ محمد صالح نصيف .

وعندما انتقل امتياز هذه الجريدة إلى الشركة العربية للطبع والنشر اختير مديراً لإدارتها (عام ١٣٥٤) ثم رئيساً للتحرير والإدارة معاً . ثم أضيفت اليه إدارة الشركة العربية للطبع والنشر . وظل على ذلك عدة سنوات .

ثم عنّ له أن يؤسس داراً للطباعة وأن يصدر جديدة ، واسم المطبعة « مطبعة قريش » – وتذكر الموسوعة الأدبية : مطبعة الحرم – واسم الجريدة : الندوة ، ثم قريش (وقد توقفت عندما أصبحت الصحف مؤسسات) ، وأصبح عضواً في مؤسسة الندوة الصحفية بمكة . كثير النشاط والكتابة والإذاعة . دعا مبكراً إلى تعليم المرأة ، ويدعو إلى إنشاء مسرح في البلاد .

له عدة مؤلفات ، اعتاد أن يعلن عنها في كتبه ويحدد مضمون كل كتاب في سطور سنفيد منها هنا .

يعده الشيخ حمد الجاسر من رواد الثقافة في هذه البلاد العاملين في حقلها في عصر مبكر (تنظر ، مجلة العرب ، ملحق الجزء ١٢ ، س ٤ ، جمادى الأولى ١٣٧٠ / سبتمبر ١٩٧٠) .

١ – **أبو زامل** : ط ١ ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٣٧٤ ، ١١٦ ص.

ط ٢ ، مكة ، مطابع دار قريش ، ١٣٧٩ ، ١٣٦ ص مصورة (قصة الجيل القديم وعرض لآرائه في التربية والتعليم ونظرته العامة في الحياة) .

ملاحظة : في طبعة ثالثة ، مكة ، مطابع قريش ١٣٩٠ / ١٩٧٠ ؟ ، ٢٣٢ ص سماه : « أيامي » وقد توسع فيما ألم بحياته إلى جانب ما عرف من سمات الجيل فتعين عليه أن ينسى أبا زامل » .

٢ - **تاريخ مكة** : ط ١ ، القاهرة ، دار الكتاب العربي (أصدرته مكتبة الثقافة بمكة) ١٣٧٢، ١ - ٤٣٨ - ٤٤١ - ٤٤٦ + ٢ - (دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران من عهد إسماعيل إلى يومنا الحاضر) .

ط ٢ (في جزءين بعد التوسع والتنقيح والزيادة) ، ج ١، ١٢ - ٣٠١- ٣٠٩ ، مكة ، مطابع دار قريش ١٣٨٠ . ج ٢ ، ٢٧١ - ٢٩٢ ، مكة مطابع دار قريش .

ط ٣ ، في جزءين، مكة، مطابع دار قريش ، كتب على الغلاف الداخلي عام ١٣٨٥ ، وعلى الغلاف الخارجي ١٣٨٧ .

ج ١ ، هـ - ك ، ١٤ - ٣٠٤ - ٣١٩ وقد أثبت فيه مقدمة الطبعة الأولى . وذكر في مقدمة الطبعة الثانية أنه تلقى ملاحظات من السيد هارون العطاس والأستاذ عبد الله المزروع والأستاذ عبد الله عبد الجبار والأستاذ إبراهيم فلالى على أمور تتعلق بالعهد الفاطمي والعصور المتأخرة والقرامطة والعهد الجاهلي « فأعرت جميع ذلك انتباهاً خاصاً فأصلحت ما تراءى لي ضرورة إصلاحه .. وحذفت فصولاً برمتها وكتبتها من جديد » .

ج ٢ ، ٣ - ٢٧١- ٢٨٥ - ٣٠٨ عصور ينتهي بنهاية الحكومة الهاشمية، وفي آخره يقول : «وفي الجزء الثالث نفصل الحديث عن السلطان عبد العزيز وبيعته بالملك وما كان من أمر المؤتمر الإسلامي الذي عقد في مكة وأهم الحوادث في العهد الأخير ومبلغ الخطوات التي خطتها البلاد » ولم يصدر الجزء الثالث هذا .

ملاحظة : عد الأستاذ الجاسر كتاب تاريخ مكة « من أهم الكتب التي ألفت في تاريخ هذا البلد الكريم .. فهو في الحق عصارة فكرية لتاريخ ضخم فخم من أقدم العصور إلى العصر الحاضر » .

٣ – **خالتي كدرجان وقصص أخرى** : مكة ، دار قريش للطباعة ، د. ت (١٣٨٧ = ١٩٦٧ ؟؟) ٣ – ٩٥ .

« أردتها أقاصيص من صميم الحياة .. أردتها لتكون مرآة يصافحنا فيها واقعنا من غير رتوش !! وأنا أؤمل أن نعالج بأمثالها بدواتنا الخاطئة !! » .

٤ – **دعونا نمش** : القاهرة ، دار ممفيس للطباعة ، د. ت ، ١٨١ ص + ٢ (مقالات) . (دعوة صارخة للعمل في نواحي الحياة بقوة الرجل المتوثب للنهوض فيها) .

٥ – **صحيفة السوابق** : القاهرة ، دار مصر للطباعة والنشر ، د. ت ، ٤ – ٧٢ ص ص .

(قصة الجريمة ، عرض لها وتحليل للظروف التى تهيء للإجرام ومدى مسؤولية الجمهور عنها) .

٦ – **فكرة** (قصة اسم بطلتها فكرة) : القاهرة ، مطبعة دار الكتاب العربي . د. ت ، ٨ – ١٨٠ ص (لجنة النشر العربية – مكة المكرمة) (قصة الفتاة التي عاشت لآرائها الحرة في الحياة) .

على الغلاف : « كانت كاسمها فكرة . وكانت هازئة بقواعد الحياة ، وكان لا يغريها من جمالها وفتنتها ما يغريها في الرأي مصدره المنطق الصحيح » .

الإهداء : « ولدي .. ستقرآن في قصتي نوعاً من الأفكار التي تساورني في حياتي ، وتجدان فيها مثلا من المثل التي عشت أحلم بها ، ولم أحقق لنفسي شيئاً منها .. ذلك لأن في ملابسات تكويني وتربيتي ما لم يهيئني لها .. »

يبدو أن « فكرة » نشرت لأول مرة في مجلة المنهل .

٧ – **فلسفة الجن** : (مقارنات بين عالمنا في الأرض ومُثل الجن السامية وراء المجهول) .

٨ – **المرشد إلى الحج والزيارة** : القاهرة ، مطبعة العالم العربي ، ١٣٦٨ ، ٥ – ١١٠ + ٢ (مصور) . (حركة الحاج ومناسكه على المذاهب الأربعة بحوث تاريخية عن الحرمين ومحتوياتها من الآثار الإسلامية) راجع القسم الديني:

السيد علوي مالكي والشيخ حسن مشاط ، وراجع القسم الوصفي والتاريخي الشيخ عبد الوهاب الدهلوي .

على الغلاف الأخير : « هل تنوي الحج ؟؟ ان المطوف أحمد السباعي يسره أن تشرفه بخدمتك وأن تسأل في جدة عن اسمه ليتولى العناية بأعمال حجك .. سكناه بجوار الحرم .. »

٩ - **مطوّفون وحجاج** (قصة) : القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ، ربيع الثاني ١٣٧٣ ، ١١٦ ص ص .

(دراسات تبحث شؤون المطوفين وتدلي بآراء جريئة في شؤون مهمتهم) .

بطل القصة : « ولد حسن في بيت عريق الجد من بيوت المطوفين..وكان يرهقه ويعذب وجدانه محاولة التوفيق بين الماضي المجيد الذي كانت مهنته تتألق فيه وبين الحاضر الذي انحدرت اليه بفعل التنافس البغيض » .

١٠ - **يوميات مجنون** : القاهرة ، دار ممفيس ، د . ت ، ٣ - ١٤٨ - ١٥٢ ص ص . (بحوث في فلسفة الحياة تتناول ألوانا من غرائب المفارقات فيها كتبت على لسان مجنون) .

ملاحظة : صدر له : « قال وقلت » ضم مجموعة من مقالاته التي نشرت في بعض الصحف ، مكة ، مطابع قريش ، ١٣٨٨ (وينتظر أن يكون في عدة أجزاء) .

أحمد شطا (أحمد صالح شطا) .

١ - **النقوش والآثار في صخور الحجاز** : الفه بالانكليزية المهندس عثمان رفقي رستم رئيس مهندسي مصلحة الآثار في القاهرة وكان قد انتدب للاشراف على بعض الاصلاحات في المسجد النبوي ، وقدمه إلى مصلحة الآثار المصرية وكان ذلك سنة ١٣٧٠ = ١٩٥١ . ترجمه أحمد شطا إلى العربية بـ ١٦ صفحة واصدرته مجلة المنهل ضمن هداياها إلى قرائها .

أحمد بن صالح آل البسام (أحمد الصالح البسام) .

١ – **كتاب أسباب التقدم** : دمشق ، المطبعة العمومية ، ١٣٧٣ ، ٦ – ١٠٢ – ١٠٦ ص . أعلن عنه بأنه « علم راقي ، قصص خلابة ، مع تعريف الكلمات العلمية الافرنجية .. »

فيه شعر ونثر ، ومنه :

برزت بعلمي لا برسمي وانما بعلم الفتى يعلو وتعلو مراتبه

ومنه ، النشيد :

ذلل الصعب وارتفع للمعالي واهجر العجز وانتسب للفعال

٢ – **الحلف الرباعي** : دمشق ، المطبعة العمومية ، ١٣٧٦ ، ١٨٨ ص .

٣ – **النديم** : دمشق ، المطبعة العمومية ، ١٣٧٧ ، ١١ – ١٩٩ (؟) ص.

أحمد صلاح جمجوم

١ – **اقتصادنا القومي وكيف ندعمه** : جدة السلسلة الثقافية لجريدة « الأضواء » .

أحمد طاشكندي

١ – **أرامكو وامتيازات الزيت** : القاهرة ، دار ممفيس للطباعة ، ١٣٨٠ = ١٩٦١ ، ٨٣ ص ص. « مقالات سبق أن نشرها في جريدتي الندوة والخليج العربي محاولاً تسجيل اكتشاف الزيت السعودي بوساطة أرامكو في عام ١٩٣٣ وما استجد على الاتفاقيات المبرمة .

أحمد عبد الحميد

١ – **عاصفة في الأفق** : رواية من الأدب السعودي القاهرة، دار الكتاب العربي ، د. ت ، ٥ – ١٨٩ .

أحمد بن عبد الحميد العباسي – ينظر أسعد درا بزوني الحسيني .

– **للبحث صلة** –

علي جواد الطاهر

بغداد – كلية الآداب

مَعَ ٱلقُرّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

فروع قبيلتي غامد وزهران في الوقت الحاضر

أرجو إرشادي إلى كتاب يوضح نسب قبيلتي زهران وغامد ، وفروع القبيلتين

مكة – ريع الحجون : سعيد غرم الله الغامدي

العرب : صدر هذه الأيام كتاب « في سراة غامد وزهران » يحوي الكثير عن هاتين القبيلتين وبلادهما ، وها هي فروع القبيلتين على ما كتب به الأستاذ محمد مسفر الزهراني لمؤلف ذلك الكتاب :

قبائل زهران – في السراة

١ – **دوس بني فهم** : وشيخها سعيد بن محمد الراموك .

وأهم قراها : آل نعمة – آل خاجة – الجحاف – الهرة – سيحان – السنة – عسيلة – الكاحدين – الكاحلة – حظوة – الجبور .

٢ – **دوس بني علي** : وشيخها عبد ربه بن فرحة .

أهم قراها : ١ – في السراة : رَمَس – الحبشة – الريحان .

٢ – في تهامة : الجرداء – القزعة – الفرعة – سوق السبت – السند – الكف – السعبرة – المربى – الحنكة – سند المليح – الجناب .

٣ – **دوس بني منهب آل عياش** : وشيخها عيسى بن مسفر بن عبد الله .

أهم قراها : ١ – في السراة : غدي – الحصنين – الزرقان .

٢ – في تهامة : العقب – أبي شوك – قرعة – الكلبات .

٤ – **دوس بني منهب** :

أهم قرى بني منهب : ١ – في السراة : عمضان – بدادا – الوكف – القرن – فريدة – القامة .

٢ – في تهامة : فضالة العليا – فضالة السفلى – عياس .

٥ – **بالطفيل** : شيخها مفرح بن خضران .

أهم قرى بالطفيل : ١ – في السراة : عويرة – الهدى – سلامان – الكورس – الفرير .

٢ – في تهامة : آل حمامة.

٦ – **قريش** : شيخها جابر بن الحسين .

أهم قراها : الأطاولة – بني محمد – القهاد – الحسن – القسمة – منحل التوءاب – منضحة – القصصة – الرهوتين – آل دكان – القهبان – الهدوان .

٧ – **بني جندب** : شيخها فيصل بن زنان .

أهم قراها : الحكمان – المكاتيم – آل سرور – آل صقاعة – المظلمات – آل طاهر .

٨ – **بني بشير** : شيخها عبد الوهاب الصعيري .

أهم قراها : الشطة – الاشتاء – الوهدة – القامرة – القوارير – آل سلمان – الجدلان – آل زياد – العقاربة – أهل الرأس – الحضيري .

٩ – **بني حرير** : أهم قراها : محوية – المثيلة – الحبشة – المشارق – آل سعيدان – الدعبة – الريعة – الصمدان .

١٠ – **بني عدوان** : أهم قراها : الضحوات – الكرادسة – الكلبة – الشعبة – حُظَى .

وشيخ هاتين القبيلتين هو جمعان السُّبيحي .

١١ – **بني كنانة** : شيخها ذياب بن سعيد .

أهم قراها : مسيِّر – المندق – العنق – النصباء – بلحكم – عشبة – الوسط – أم عمرو – الحلاة – الحبارى – القرنطة .

ويتبع هذه القبيلة قرى وادي ثمران في تهامة .

١٢ – **بيضان** : شيخها خضران الصغير .

أهم قراها في السراة : قرى البارك – الدارين – بنـو هريرة – قراء – الحلاة – المصاعبة – الحناديد – المصاقير .

أهم قراها في تهامة : الصور – الصقران – العرباء – الواسطة – المين – قرى حصن الحبس – قرى الأصدار .

١٣ – **بلخزمر** : شيخها عِيضة بن صالح .

أهم قراها : القبل – الرخيلة – الفصيلة – ربوع الصفح – رسبا – أرَيمـة حديد – الطرف – الكمامير – مَولَـغ – عنازة – السّرفة – الجماجم .

ويتبعها في تهامة قرى واديي أشحط وسبة .

١٤ – **بنو حسن** : وشيخها منسي بن عصيدان .

أهم قراها : قرى وادي الصدر – العصداء – العفوص – الصفرة – رباع – الجوفاء – نعاش – قرن ظبي – خيرة – آل موسى – الأئمة – المشايعة – مراوة – شبرقة – مليكة .

ويتبعها في تهامة قرى الجمدة .

١٥ – **بنو عامر** : شيخها عبد المجيد أبَى الرُقـُوش .

أهم قراها : بني سار – الربيان – جميم – بروقة – المصرخ – الرومي .

ب – قبائل زهران في تهامة

١ – **بنو سُليم الشفبان** : وشيخها أحمد بن مفطي .

أهم قراها : الحجْرة – آل مقبل – آل يسلم – آل سهلة – بنو عطا – المضحاة .

٢ – **بنو سُليم أولاد سعدي** : الشيخ رمضان بن أحمد .

أهم قراها : قرى وادي غليلة – قرى وادي الحبيبة – قرى وادي رَمَا – قرى آل بعاج – قرى وادي الزرعة – قرى وادي الخرايت – العصمة – ذنايب – قرى وادي لقط .

٣ – **بنو سُليم بالمفضل** : الشيخ مطر بن رزق الله .

أهم قراها : قرى وادي ريم – قرى وادي الشعراء – قرى وادي سممة – قرى وادي بير الغميقة .

٤ – **بنو سُليم الجُبَّر** : الشيخ عبد الله بن احمد العواجي .

أهم القرى : النجيل – قرى وادي دو – الخليف – مضحاة المشاييخ – آل سويدي – آل بالريان .

٥ – **قبائل الأحلاف** : ولها ثلاثة مشايخ وهم :

أ – محمد أبو القرون

وتتبعه القرى التالية : الغبشة – المضحاة – الطـولة – وادي يحر – النوزة – بالأسود – آل ظهيرة – آل فـلاح – بنو زرعة .

ب – مستور بن أحمد

وتتبعه القرى التالية : قِلْوَة – حبس ابن زينة – الحوية – بنو زهير – آل سلطانة .

ج – محمد بن جمعان النفناف

وتتبعه القرى التالية : البدلة – كيدى – المجزة – المرصاد – الرهفة – الذويب – الفرع – جبل أحمار – جبل الرهوة .

٦ – **بنو عمر الأشاغيب** : شيخهم محمد بن عبد الله بن موالي .

أهم القرى : الجوة – العياش – ذو عين – بنو عـاصم – قرى وادي يمنى – قرى وادي منجل – قرى وادي شمـاق – قرى وادي راش – قرى بني دحيم – قرى وادي الجنش وحواز .

٧ – **بنو عمر العلي** : الشيخ علي بن محمد .

أهم القرى : الخواة – المشايعة – العياش – ضيان – القرة – قرى وادي الأحسبة .

٨ – **ناوان** : الشيخ عبد الكريم بن هيال .

وتتبعه قرى وادي ناوان جميعها .

٩ – **دوقة المشاييخ** : تتبع إدارياً لإمارة القنفدة ولها أربعة مشايخ .
وأهم قراها : مشرف – الفرع – آل ثواب – الوحشة – النقار – الصقعة .

ملاحظة هامة :

إنّ ٩٠ ٪ من سكان تهامة إمارة غامد وزهران من قبيلة زهران ، ولا يقطن تهامة من غامد إلا قبيلة واحدة هي قبيلة غامد الزناد بالإضافة إلى بعض القرى العائدة لبني عبد الله .

قبائل غامد وأهم قراها

١ – **قبيلة بني خثيم** : الشيخ هاشم بن عدنان .

أهم قراها : رغدان – الطويلة – الجادية – الرهوة – الجمرة – الحبشي – آل بلعلا – الغائم – الكراء – قمهدة – بني مشهور – المراصعة .

٢ – **قبيلة بني عبد الله** : الشيخ عبد العزيز عبد الهادي .

أهم قراها : الباحة – الظفير – الزرقاء – مسب – بني سعد – محضرة – الملد – الجدة – قمبور – المريري – الراعب – السواد – بشير – بني فروة .

ويتبعها في تهامة : شدا غامد الأعلى – شدا غامد الأسفل – وادي قراما .

٣ – **قبيلة بني ظبيان** : الشيخ عبد الله بن صقر .

أهم قراها : الغمدة – حصن المضحاة – الجبل – الرمادة – بني حدة – خفة – عرا – حصن أبا الزين – العباس – الريحان – رحبان – المقاضية – الحلة – العبالة – الطرفين – الغشامرة – المفارجة – العطاردة – الخويتم – العشقان – غزير – بني سعيد – الأجاعدة – بني جرة – القرن – عالقة بني ظبيان .

٤ ـ **قبيلة بني كبير** : الشيخ عثمان بن سويعد .

أهم قراها : الغبر ـ الحبيس ـ الحدب ـ العبادل ـ بني والبة ـ الزرقاء ـ الفلاح ـ آل سالم ـ آل سرور ـ آل مرزوق ـ المزرعة .

٥ ـ **قبيلة الرهوة** : الشيخ حامد الكلي .

وأهم قراها : عالقة الرهوة ـ مقمور ـ العسلة ـ العذبة ـ الفرشة ـ الجرار ـ بالعذمة ـ المحالية ـ بني هلال ـ الطلقية .

٦ ـ **بلجرشي** : الشيخ عبد الله بن احمد بن مصبح .

وأهم قراها : البركة ـ العامر ـ بني عامر ـ الركبة ـ العوذة ـ الغازي ـ السلمية ـ الحصن ـ بني عبيد ـ المدان ـ حزنة ـ شعب الفقهاء ـ المصنعة ـ القريع ـ غيلان ـ الربقة ـ الصقاع ـ الحمرا ـ الجبل ـ الشعبة ـ الجلحية ـ المكارمة ـ المطاشين ـ البكير ـ جبر .

٧ ـ **بالشهم** : الشيخ أحمد بن عبد العزيز اللخمي .

أهم القرى : عبدان ـ الأبناء ـ الحلية ـ الجحافين ـ آل زارع ـ الحميد ـ الفرية ـ الفرح ـ آل دكان ـ الازاهرة ـ القمع ـ قذانة ـ حوالة .

بادية غامد

١ ـ قبيلة رفاعة . ٢ ـ قبيلة الحلة . ٣ ـ قبيلة الزهران .

٤ ـ قبيلة الهجاهجة. ٥ ـ قبيلة العبيدات. ٦ ـ قبيلة القنازعة .

٧ ـ قبيلة آل سلم . ٨ ـ بادية بني كبير . ٩ ـ الزوابع .

أغلب هذه القبائل رحل ، وبعضهم قطن العقيق ووادي معشوقة .

وتتبع قبيلة غامد : قبيلة (غامد الزناد) من تهامة وهم بادية وحاضرة ، وأهم مراكزهم : المطوة ـ بطاط . وشيخهم الزندي .

[لا تتحدث «العرب» في هذا الباب إلا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اهتمت بكل ما ينشر من تراثنا]

● فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية :

وصدر من فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية :

١ – المنتخب من مخطوطات الحديث : وقد قام بعمل هذا الفهرس العالم الجليل الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، فقد عكف على التنقيب بين مخطوطات هذه الخزانة ومنها قسم كبير غير مرتب ، فقام باستخراج ما يتعلق بالحديث النبوي وبترتيب ذلك وتنسيقه فجاء في مجلد بلغت صفحاته ٥١٥ صفحة ، وعثر الشيخ اثناء عمله على مخطوطات نادرة اشار إلى بعضها في مقدمة هذا الفهرس .

٢ – الجغرافية وملحقاتها : وقام الأستاذ ابراهيم الخوري بترتيب فهرس الكتب الجغرافية مضيفاً اليها كتب النسب وكتب الخواص ، خواص النبات والحيوان والأحجار ، وبعض المسائل تتعلق في علم المساحة ، وجاء هذا الفهرس في ١٩٢ صفحة .

٣ – علم الهيئة وملحقاته : وصنع الأستاذ ابراهيم الخوري فهرس علم الهيئة وملحقاته من مخطوطات الدار ، فجاء في ٣٧٤ صفحة .

● الطبقات السنية :

ومن كتب التي قامت لجنة إحياء التراث الأسلامي التابعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة ، بنشرها كتاب « الطبقات السنية في تراجم الحنفية » وقد صدر المجلد الأول من هذا الكتاب يحوي ٢٧٦ ترجمة ، ويقع في ٥٠٢ من الصفحات بالقطع الكبير وقام بتحقيق الكتاب الأستاذ عبد الفتاح محمد الحلو ، أما مؤلف الطبقات هذه فهو تقي الدين الغزي المتوفى سنة (١٠٠٥ هـ) .